ألفاظ الرائحة : دراسة معجمية دلالية

د. سالم سليمان الخماش
أستاذ فقه اللغة المشارك/ جامعة الملك عبد العزيز بجدة
كلية الآداب والعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية

مستلخص

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على الأصول المعجمية لألفاظ الرائحة في العربية. وقد لاحظت الدراسات المهمة المتعلقة بطبيعة مفردات الرائحة في اللغات أنها انعكاس للطبيعة الفسيولوجية للرائحة التي تتسم بعدم الوضوح وقلة التفاصيل. هذه الحالة مسئولة عن ضعف معجم الرائحة الذي عُوّض عنه باستعارة ألفاظ من حقول الحواس الأخرى. في ضوء هذه المعطيات، أخضعت الدراسة مفردات الرائحة التي جمُعت من لسان العرب ومعاجم أخرى للتحليل المعجمي والدلالي أملاً في اكتشاف الأصول المعجمية لهذه المفردات. وقد كشفت نتائج هذه الدراسة أن جلّ مفردات معجم الرائحة غير أساسية، وإنما مستعارة من حقول أخرى. كذلك أظهرت نتائج التحليل المعجمي الدلالي أن ظاهرة تراسل الحواس كانت وراء تغير دلالات عدد من ألفاظ الرائحة.

كلمات مفتاحية: العربية، رائحة، تراسل، حواس، إحساس، تغير دلالي

Words for "smell": Lexical Semantic Study

Abstract

This study aims at shedding some light on the lexical origins of words for "smell" in Arabic. The results of some of the important studies on the nature of smell in the some languages observed that the vocabulary of "smell" is reflecting the physiological nature of perceiving smell. It is characterized by weak clarity and lack of details. This situation is behind its lexical limitation, which is compensated for by borrowing words from the fields of other senses. In light of these facts, the study subjected the vocabulary of "smell", collected from Lisān al-ʿ Arab and other lexicons to lexical and semantic analysis in hope of finding their lexical origins. The results of this study showed that a great part of the words in the field of "smell" are not basic in this area. They were barrowed from other lexical fields. The study also indicated that synesthesia phenomenon were at work behind some of the vocabulary transfers from other fields to that of "smell".

Keywords: Arabic, smell, olfaction, synesthesia, sensation, semantic transfer

١ - الحواس وطبيعتها

الحاسة لغة: اسم فاعل من حسّ الشيء. جاء في اللسان: حسّ بالشيء يَحُسُّ حَسّاً وحِسّاً وحَسِيساً، وأَحَسّ به وأَحَسَّه: شعر به؛ والحِسُّ والحَسِيس: الصوت الخَفِيّ[١].

والإِحْساسُ: العلم بالحواسِّ، وهي مَشاعِرُ الإِنسان كالعين والأُذن والأَنف واللسان واليد، وحَواسُّ الإِنسان: المشاعر الخمس وهي الطعم والشم والبصر والسمع واللمس[٢]. ويبدو أن (حسّ) كان في الأصل لفظ محاكاةٍ لصوت احتكاكي، ومنه جاء معنى (الحسّ)، وهو "الصوت الخفي"، ثم بعد ذلك عُمِّم ليدل على كل شيء يدرك بإحدى المشاعر الخمس.

الإحساس اصطلاحا: جاء في كشاف اصطلاحات الفنون: الإحساس: قسم من الإدراك، من إدراك الشيء الموجود في المادة الحاضرة عند المدْرك مكنونة بهيئات مخصوصة من الأين، والكيف، والكمّ، والوضع، وغيرها. وقال بعضهم للإحساس معنيان، أحدهما الإدراك بالحواس الظاهرة، والآخر الإدراك بالحواس الظاهرة، أو الباطنة[٣].

وأطلق الفلاسفة القدماء على الحواس الإنسانية عبارة "نوافذ النفس"، وعدّ أرسطو خمس حواس: النظر، والسمع، والشم، والذوق، واللمس. وتبع كثير من الفلاسفة والعلماء رأيه هذا، وكأنه لا يوجد غير هذه الحواس الخمس، ولكن هذا الرأي لم يعد الآن السائد بين علماء الفسيولوجيا والنفس؛ لأنه تبين أن هناك مستقبلات في العضلات وأوتارها، والمفاصل التي تمد الإنسان بالإحساس الحركي، ومستقبلات في الأذن الداخلية التي

---

[١]- محمد بن مُكرّم ابن منظور، لسان العرب، تصحيح: أمين عبد الوهاب وأمين العبيدي ، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٩٩٧ م، (حسس). سيشار إليه في بقية الحواشي بـ (اللسان).

[٢]- انظر اللسان، (حسس).

[٣]- انظر محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تحقيق: علي دحرج وآخرون، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٦، ج١، ص ١١١، ١١٢.

تمده بإحساس التوازن. وتصنف كذلك الحواس إلى حواس الالتقاط البعدي، وهي التي تدرك المحسوسات البعيدة عن الجسم كالمرئيات والمسموعات، وحواس الالتقاط الاحتكاكي أو المباشر وهي التي تتلقى المحسوسات المباشرة كالملموسات، والمتذوقات، والمشمومات[١].

١ -١ طبيعة حاسة الشم والرائحة

الشم هو اكتشاف المواد الكيميائية المحمولة جوا وتمييزها، وهذه الحاسة تعتمد في المقام الأول عند الفقاريات التي تتنفس الهواء على الأعصاب الحساسة للعناصر الكيميائية، وتقع المستقبلات الشمية في البشر عالية في تجويف الأنف[٢].

ويذكر أفلاطون في محاوراته أن أصناف الرائحة لا تمتلك أسماء، ولا أصنافا كثيرة، ولا أنواعا بسيطة محددة، وإنما تُميز فقط بين السارّ منها والمؤذي[٣]، ويرى أرسطو أنّ:

> طبيعة الشم لا تظهر بوضوح، كالحال في الصوت أو اللون. وعلة ذلك أنّ هذا الإحساس ليس دقيقا عندنا، بل هو فينا أضعف منه في كثير من الحيوان، ذلك أن الإنسان يُحس بالروائح بضعف، ولا يدرك أية رائحة ليست مصحوبة بالألم وباللذة، مما يدل على أن عضو الحس يخلو من الدقة، ومن الصواب أن نظن أنّ الحيوانات ذوات العيون الجامدة تدرك

---

[١]- انظر:
Carl Pfaffmann, "human sensory reception", Encyclopedia Britannica online:
http://global.britannica.com/EBchecked/topic/534831/human-sensory-reception

[٢]- انظر: Pfaffmann

[٣]- أفلاطون، المحاورات الكاملة، ترجمة شوقي داود تمراز، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٤م. ج٥، ص ٤٧٩.

الألوان على هذا النحو، وأن اختلاف الألوان لا يظهر لها إلا بالخوف أو عدم الخوف منها، وهذا هو النحو الذي يُدرك به النوع الإنساني الروائح"[١].

ويرجع أرسطو هذا الضعف إلى أن تمييز الروائح ليس بالأمر السهل كما هو الحال في الطعوم، لذا استعارت الرائحة مفرداتها من حقل الطعوم للتشابه بينها، ذلك أنّ الرائحة الحلوة تنشأ من الزعفران والعسل، والرائحة اللاذعة من الصعتر، وما أشبه ذلك من الأشياء[٢].

ليست هذه الأفكار خاصة بالفلاسفة القدماء، بل نجد صداها لدى المحدثين. تبيّن لنا إيريد أنتونانو Iraid Barretex-Antuñano أن سمة التمييز في حقل الرائحة ضعيفة إلى حد بعيد بعكس الحقول الأخرى، فعلى سبيل المثال عندما نرى كلبا، نعرف في الحال أن ذلك الكائن كلب، بينما لا يحدث هذا مع الرائحة؛ لأننا نكون دائما غير متأكدين تماما من ماهية ما نشم. هذا يعود إلى طبيعة عملية الشم وآليته التي رغم أنها تدرك أن هناك موادّ ذات رائحة موجودة، لكنها، في الوقت نفسه، لا تستطيع أن تقدم لنا معلومات محددة لا لبس فيها عن ماهية رائحة تلك المواد؛ لذلك يستطيع الناس شم رائحة ما، لكنهم في أحيان كثيرة لا يستطيعون أن يقولوا لنا ماذا يشمون، وهذا بدوره انعكس على تسمية الروائح[٣]. ويفترض إنجن Engen وروس Ross أن سبب الاختلاف بين قوة تمييز

---

[١]- أرسطوطاليس، كتاب النفس، ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني وجورج شحاتة قنواتي، القاهرة: البابي الحلبي، ١٩٤٩م، ص ٧٥.

[٢]- أرسطوطاليس، ص ٧٥-٧٦.

[3]- Iraid Barretex-Antuñano, Polysemy and Metaphor in Perception Verbs: A Cross-linguistic Study, PhD Thesis. University of Edinburgh, 1999, p. 147.

الصورة المرئية وضعف تمييز الرائحة هو أن الأولى ذات ملامح تفصيلية متعددة، بينما الثانية ذات ملامح بسيطة وقليلة[1].

١ -٢ ضعف معجم الرائحة

ذكرنا من قبل أن أفلاطون وأرسطو كانا يريان أن حقل الروائح فقير في الأسماء الدالة على فصولها، وأنواعها. ونجد صدى هذه الملاحظة عند العلماء المحدثين الذين تصدوا لدراسة الحواس. يلاحظ سيميل Simmel "أنّ صعوبة التعبير عن انطباعات الرائحة بألفاظ تختلف إلى حدّ بعيد عن ترجمة انطباعات المرئي أو المسموع. إنها لا يمكن أن تُعرض على مستوى تجريدي"[2]. ويرى دان سبيربر Dan Sperber أن الوسيلة الوحيدة لتصنيف الروائح هي تصنيفها بحسب مصادرها[3]. ويؤكد هذه الحقيقة هولي Holley وماكلويد MacLeod عندما يقرران أننا "نفتقر إلى لغة دقيقة تزودنا بأوصاف محددة للرائحة، [لذلك] أُجبِرنا على الاعتماد على الاستعارات"[4].

ويرُجع كوستر Koster أسباب صعوبة الكلام عن الروائح ووصفها إلى أننا نادرا ما نكون واعين بالروائح التي تؤثر فينا؛ ومن مظاهر هذه الحالة أننا لا نملك في لغاتنا من أوصافٍ للروائح إلا كلمات عامة، مثل fresh "طازج"، و musty "عفن"، وحتى هذه الكلمات ليس لها المعاني نفسها

1- Gesualdo M. Zucco, "Odor memory: The unique nature of a memory system", in Speaking of Colors and Odors, ed. Martina Plümacher, Peter Holz, Amsterdam ; Philadelphia: John Benjamins Pub. Co., 2007, p.156.

2- Annick Le Guérer, "Olfaction and Cognition: A Philosophical and Psychoanalytic View", in Olfaction, Taste, and Cognition, ed.Catherine Rouby and others, Cambridge: Cambridge university Press, 2002, p. 4.

3- انظر Le Guérer, p. 4.

4- انظر Le Guérer, p. 4.

عند كل الناس، ومعظم الروائح يُشار إليها بألفاظ مأخوذة من مصادرها[1]. ويرى هولز Holz أن مفردات أصناف الروائح ناقصة في معظم اللغات مقارنة بما تملكه من مفردات لأسماء الألوان الأساسية، حيث لا يوجد في الواقع ما يسمى "أسماء الرائحة الأساسية"، وهذا في رأيه يجعل العلاقة بين اللغة وحقل الرائحة مسألة صعبة، ومجالا ممتعا للبحث اللغوي في الوقت نفسه[2].

١ -٣ الرائحة وتراسل الحواس

إن مسألة ضعف معجم الرائحة الذي ذكرناها آنفا تتقاطع مع ما يسمى "تراسل الحواس"[3] synaesthesia، وهي حالة معروفة في التعبير عن المحسوسات، توصف بأنها دمج أو خلط أنوع من الانطباعات الإدراكية، التي يُعبر بسببها عن نوع من الإحساس بألفاظ تتعلق بإحساس آخر. ومن التعبيرات الشائعة لهذه الظاهرة: وصف الألوان بألفاظ تدل على الصوت، نحو "لون صارخ"، أو تدل على اللمس، نحو "لون رقيق"[4]. ويصنف الدارسون هذه الظاهرة اللغوية على أنها أحد مظاهر الاستعارة؛ لأنها تتضمن نقل مفردات من حقل (مصدر) يُدرك بحاسة معينة إلى حقل آخر (هدف) يُدرك بحاسة أخرى، أو بعبارة أخرى استعارة مفردات تتعلق نمط حسي sensory modality معيّن للتعبير عن نمط حسي آخر، كأن

1- Egon Peter Koster, "The Specific Characteristics of the Sense of Smell", in "Olfaction, Taste, and Cognition, ed.CatherineRouby and others, Cambridge: Cambridge university Press, 2002, p. 31.

2- انظر Peter Holz, Speaking of Colors and Odors, ed. Martina Plümacher, Amsterdam ; Philadelphia: John Benjamins Pub. Co., 2007, p.186.

٣- الكلمة الأجنبية synaesthesia مؤلفة من كلمتين يونانيتين syn "معاً"، و aisthēsis "إحساس"، وترجمتها الشائعة "تراسل الحواس"، وهناك من يترجمها بـ "تزامن الحواس"، و"اتحاد الحواس".

4- Chris Baldick, The Concise Oxford Dictionary of Literary Terms, "synaesthesia", Oxford: Oxford University Press, 2001, p. 254.

يوصَف صوت (= نمط سمعي)" بأنه "حلو" (= نمط ذوقي)، أو أن تُوصف نغمة موسيقية (نمط سمعي) بأنها "حادّة" (=نمط لمسي)[1]. وقد أدرك هذه الظاهرة في شكلها البسيط فلاسفة اليونان؛ فقد ذكر أرسطو أنّ الشمّ عند الإنسان ليس في درجة دقة الذوق عنده؛ لأن الذوق لمس ما، وكما أن الذوق يكون مرة حلوا ومرة أخرى مرّا، فكذلك الأمر في المشمومات. وبما أنّ تمييز الروائح ليس سهلا كالطعوم، فقد استمدت أسماءها منها[2]. وقد توسع الشعراء وكتاب القصة في استغلال هذه الظاهرة كثيرا، وخاصة أدباء الرومانسية.

ومن المسائل المهمة التي تناولها العلماء في العصر الحديث في حقل "تراسل الحواس"، تلك الدراسات التي ركزت على اتجاه خط استعارة ألفاظ الحواس. ومن أهم هذه الدراسات تلك التي أجراها أولمان[3] Ullman عندما درس ٢٠٠٠ استعارة حسية "تراسلية" اختارها من عدد من المصادر الأدبية الأوروبية، وقد بينت تحليلاته لهذه الاستعارات وجود ثلاثة اتجاهات رئيسة:

١- الاستعارات من مجال مفردات الحواس الدنيا (اللمس والذوق) إلى مجالات الحواس الأكثر تفصيلا (الرؤية والسمع) أكثر منها في الاتجاه المعاكس، حيث وجد ٨٠% من ألفي حالة قد سلكت هذا الاتجاه.

٢- اللمس كان المصدر الأكبر للاستعارات الحسية.

٣- السمع كان المصدر الأكثر استقبالا لهذه الاستعارت.

1- Yeshayahu Shen, "Metaphor and Poetic Figures", in: The Cambridge Handbook of Metaphor and Thought, ed. Raymond W. Gibbs, Cambridge: Cambridge University Press, 2008, p.302.

٢- أرسطوطاليس، ص ٧٦.

3- Stephen Ullmann, Language and Style, Oxford: Basil Blackwell, 1964, p.86.

وقد وصل إلى نتيجة مقاربة وليامز[1] Williams ولكن من خلال تفصيل مختلف لمجالات المحسوسات، التي حددها على النحو التالي: محسوسات اللمس، والطعم، والرائحة، والبعد، واللون، والصوت. ويلاحَظ أنه قسم المحسوسات المرئية إلى "بُعد"، و"لون". وقد تضمنت هذه الدراسة تحليل التغييرات الدلالية التي لحقت بـــ ١٢٦٩ وصفا في الإنجليزية التي استعملت في استعارات "تراسل الحواس". وقد خرج بنتيجة عامة تشير إلى وجود نظام تتابعي لنقل المفردات من نوع حسي إلى آخر مبني على سُلم ترتيب الحواس؛ "اللمس" في طرف و "اللون" و"الصوت" في طرف آخر، وكان الطرف الأول "اللمس" الأكثر إمدادا للمجالات الأخرى، وكان الطرف الثاني (اللون والصوت) الأكثر استقبالا للاستعارات، كما يبيّن الشكل رقم (١) التالي:

(شكل رقم ١) اتجاهات انتقال ألفاظ المحسوسات عند وليامز Williams (مترجم).

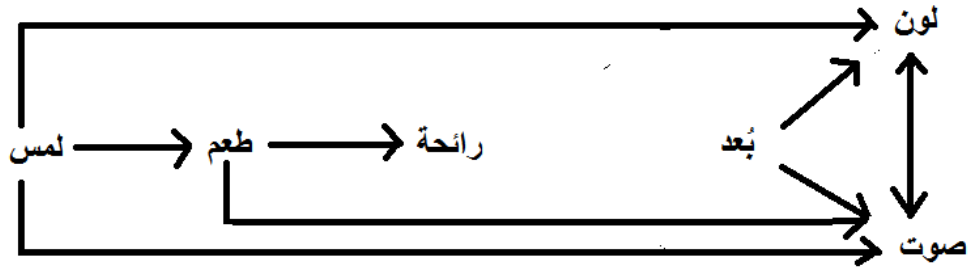

وقد فصّل وليامز Williams العلاقة بين مفردات الاحساس على النحو التالي:

[1]- Williams, J.M., "Synaesthetic Adjectives: A possible law of semantic change", Language, 32 (2) (1976), pp. 461–78.

١- انتقال ألفاظ "اللمس" إلى "الطعم" (مثل: sharp taste طعم حادّ)، و"اللون" (dull color لون كليل)، و"الصوت" (soft sound أصوات رقيقة)، ومن النادر انتقالها إلى الرؤية أو الرائحة[١].

٢- انتقال ألفاظ "الطعم" إلى "الرائحة" (sour smell رائحة مرة)، و"الصوت" (sweet music موسيقى حلوة)، ولكن لا تعود إلى الوراء، أي إلى "اللمس"، أو تتجاوز إلى الأمام إلى "البعد"، أو "اللون".

٣- ألفاظ الرائحة لا تنتقل إلى مجالات إحساس أخرى.

٤- انتقال ألفاظ "البُعد" إلى "اللون" (flat gray رمادي مسطح)، أو "الصوت" (deep sound صوت عميق).

٥- انتقال ألفاظ "الصوت" إلى "اللون فقط" (quiet green أخضر هادئ)[٢].

كذلك وجد سين ديْ Sean Day أنّ حقل الرائحة قد استعار ٢٤٢ كلمة من حقول الحواس الأخرى، منها ٣٧ من اللمس والحرارة، و٦٠ من الطعم، في الوقت الذي لم يقدم فيه هذا الحقل لحقول الإحساس الأخرى إلا كلمات محدودة؛ حيث زود حقلي السمع والرؤيا بكلمة واحدة فقط لكل منهما[٣].

من أهم النتائج التي نستخلصها من هذه الدراسات: (١) محدودية معجم الرائحة، و(٢) ندرة انتقال ألفاظ الرائحة إلى مجالات الإحساس أخرى لغموضها وقلة تفصيلها، و(٣) شيوع انتقال ألفاظ الإحساس الأخرى

١- هذا بخلاف ما سنلاحظه في العربية من انتقال ألفاظ اللمس إلى الرائحة في مثل "حدة الرائحة"، و"مسك ذكي الرائحة". راجع تحت.

٢- انظر: Williams, pp. 461–78.

3- Sean Day, "Synaesthetic Metaphors in English", Ph.D. thesis, Purdue University, 1995, p.89.

إلى مجال "الرائحة"، وأكثرها شيوعا "الطعم" ثم "اللمس"، ثم بعد ذلك "الرؤية"، و"السمع"، و"الحرارة". هذه النتائج تضع أمامنا قضايا هذا البحث الذي نحن بصدده: مصادر ألفاظ الرائحة المستعارة من حقول مفردات الحواس أخرى.

٢ - منهج الدراسة وإجراءاتها

المادة التي سنخضعها للتحليل هي ألفاظ الرائحة التي جُمعت بشكل رئيس من معجم لسان العرب لابن منظور بجانب بعض المعاجم العربية الأخرى[١]. ونقصد بألفاظ الرائحة هنا الأسماء التي تميزها، أو الصفات التي تبين حالاتها، وكذلك الأفعال الخاصة التي تسند إليها في التراكيب مبينة انتشارها أو قوتها.

بيّنت الدراسات التي استعرضناها آنفا أن مفردات الرائحة عادة ما تكون مجتلبة من حقول لا تمت إلى حقل الرائحة بصلة. سنتخذ هذه النتيجة افتراضا في دراسة ألفاظ الرائحة في اللغة العربية. هذا يدعونا بحث أصول مفردات هذا الحقل، وتلمس الأصول المعجمية التي أمدته بالمفردات. ولا شك أن تحديد المعنى القديم ليس بالأمر السهل؛ لأن المعاني أكثر عرضة للتغير من بين مستويات اللغة الصوتية، والنحوية، والصرفية؛ وهي كذلك من أصعبها توقعا وتفسيرا. ودقة التحليلات الدلالية المقارنة تعتمد إلى حد كبير على توفر أدلة المقابلات المعجمية من العائلة اللغوية السامية. لذا عندما نحاول تحديد المعنى القديم لألفاظ الرائحة في العربية نجد أنه لا مناص من اللجوء لدراسة مشتقات الجذر الذي تنتمي إليه اللفظة، في محاولة لاستشفاف المعنى الحسي القديم، وهذا بلا شك سيدعونا إلى استشارة معاجم اللغات السامية باحثين عن مقابِلات ألفاظ الرائحة فيها.

---

[١]- اعتمدنا في جمع هذه المادة بشكل أساسي على لسان العرب لابن منظور، وابن سيده، المخصص، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، بيروت، (ب.ت)، سفر١١، ص ٢٠٣-٢٠٨، ومعاجم أخرى ستذكر في محلها من الدراسة.

سنحاول في الصفحات التالية تعريض مفردات الرائحة للتحليل المعجمي والدلالي بغية استكشاف أصولها اللغوية ومن ثمّ تحليلها في ضوء أقوال الفلاسفة ونتائج الدراسات التي استعرضناها آنفا. سنبدأ أولا بذكر الكلمة المتعلقة بالرائحة، سواء كانت فعلا أو اسما، ثم نورد بعد ذلك معناها المتعلق بالرائحة، ثمّ نتلوه بالمشتقات التي تعيننا في استكشاف الدلالات السابقة لدلالة "الرائحة"، ثم يلي ذلك ذكر ما يوازن الجذر العربي في معاجم بعض اللغات السامية متى ما تيسر لنا ذلك، ثم نختم تحليلنا باقتراح المعنى القديم الذي تطورت عنه دلالة اللفظة المتعلقة بالرائحة.

٣ - دراسة دلالية ومعجمية لألفاظ الرائحة

نبدأ أولا بعرض قائمة تتضمن الألفاظ المتعلقة بالرائحة التي تمكنا جمعها من المعاجم العربية:

جدول رقم (١): ألفاظ ذات علاقة بالرائحة

	كلمة		كلمة		كلمة		كلمة
١	أجِن	٢٠	دَفَر	٣٩	صُنان	٥٨	فوعة
٢	أرَج	٢١	ذَفَر	٤٠	صنَق	٥٩	قُتار
٣	أَلِلَ	٢٢	ذكا	٤١	صنَم	٦٠	قَتَمة
٤	بخَر	٢٣	ذمَى	٤٢	صِيق	٦١	قَدا
٥	بَشِع	٢٤	رائحة	٤٣	ضَوْع	٦٢	قُطر
٦	بنّة	٢٥	رَيّا	٤٤	طِيب	٦٣	قَنَم
٧	بهنانة	٢٦	زَخمة	٤٥	عَبِقَ	٦٤	لخَن
٨	تأكّل	٢٧	زهومة	٤٦	عبير	٦٥	نأَج
٩	تَفِل	٢٨	سجّس	٤٧	عجّ	٦٦	نَتَن

	كلمة		كلمة		كلمة		كلمة
١٠	تَمِه	٢٩	سطَع	٤٨	عَرْف	٦٧	نَسَم
١١	تَهِم	٣٠	سَمْج	٤٩	عِطْر	٦٨	نَشا
١٢	توهّج	٣١	سَنَا	٥٠	عطِنَ	٦٩	نشْر
١٣	ثقَبَ	٣٢	سناخة	٥١	فاجَ	٧٠	نَشَّمَ
١٤	حادّ	٣٣	سَهَك	٥٢	فاحَ	٧١	نفَح
١٥	حَرْوة	٣٤	شذا	٥٣	فاخَ	٧٢	نفخة
١٦	خمّ	٣٥	صأْكة	٥٤	فارة	٧٣	نمّ
١٧	خمِج	٣٦	صلّ	٥٥	فَغَم	٧٤	نمِس
١٨	خَمْطة	٣٧	صُماح	٥٦	فَغْو		
١٩	خَمَن	٣٨	صمَر	٥٧	فَنَع		

بعد استعراض قائمة الألفاظ هذه المتعلقة بالرائحة، وعرضها على آليات التحليل الدلالي، استطعنا أن نميز عددا من الحقول المعجمية التي تعود إليها هذه الألفاظ. ولكن قبل أن نستعرض هذه الحقول، نود الإشارة إلى أننا حاولنا تجنب التفاصيل والتصنيفات الدقيقة للحقول اقتناعا منا بأن العقل الجمعي اللغوي لا يهتم بالتصنيفات العلمية المحددة، وإنما يميل إلى الانطباع العام، فيعامل الأشياء المتقاربة معاملة الصنف الواحد. لذا سيجد القارئ أننا وضعنا الحقول المتجاورة أو المتقاربة تحت حقل واحد. هذه الحقول هي كالتالي:

(١) الرياح، والنفخ، والبخار.

(٢) الدخان، والغبار، والوسخ والعرق.

(٣) الحركة، والاندفاع، والقوة.

(٤) الفساد، والعفن، والضعف.

(٥) الخفاء.

(٦) الصلابة، والالتصاق، والثبات.

(٧) الذوق واللمس.

(٨) النار والضوء.

(٩) ألفاظ متفرقة

٣ -١ الريح، والنفخ، والبخار:

الهواء هو الناقل الرئيس للرائحة، لذا ربط الإنسان الرائحة بحركة الهواء، واستعار عددا من ألفاظ الرائحة من أصناف حركة الهواء. وحركة الهواء تكون طبيعية، أو بسبب النفخ. وقريب من هذا حركة البخار الذي يمتطي الهواء. لذا نجد الكلمات التالية للرائحة لها علاقة بالهواء والرياح.

الرائحة: النسيم طيّباً كان أو نَتْناً. تقول لهذه البقلة رائحة طيبة، وأَرْوَحَ اللحمُ: تغيرت رائحته، وكذلك الماءُ، وقال اللحياني وغيره: أَخذتْ فيه الريح وتَغَيّر ووَجَدْتُ رِيحَ الشيء ورائحته بمعنىً. ورِحْتُ رائحة طيبة أَو خبيثة وأَراحها وأَرَحْتُها وأَرْوَحْتُها: وجدتها.

الرِّيحُ: نَسِيم الهواء، وكذلك نَسيم كل شيء.

وأَرْوَحَنِي الضب: وجد ريحي. ويقال أَراحني الصيد إِذا وجَدَ رِيحَ الإِنْسِيّ[١].

[١]- راجع: اللسان، (ريح).

وجذر رو(ي)ح في اللغات السامية يدل على "الرياح" والرائحة. قارن الجعزية rəḥit "ذو رائحة طيبة"[1]، والأغاريتية rḥ "عبير"[2]، والسريانية rīḥā, ، والعبرية rēḥa "عطر"[3].

ويتضح لنا هنا أن "ريح"، و"رائحة" لها علاقة بـــالريح، أي "حركة الهواء".

فاخ المسك: سطع مثل فاح، وعن الأَصمعي: فاخت منه ريح طيبة تفوخ وتفيخ مثل فاحت. وفاخ الرجل وأَفاخ: خرجت منه ريح، وهو مذكور في الياء أَيضاً. وعن الفراء: أَفَخْتُ الزِّق إِفاخَة إِذا فتحت فاه ليفُش ريحه[4].

ونجد جذر pwḥ في العبرية يعطي معاني "التنفس"، و"النفخ"، و"الزفير"[5]. وفي الترقوم نجد pūḥa "نفخ" و pūḥā "نفس، رياح"[6]، وفي السريانية pāḥā "رائحة"[7] التي قد تقابل العربية فاخ، أو فاح.

الفَوْح: الريح الطيبة، فاحَتْ ريح المسكِ تَفُوحُ وتَفِيحُ فَوْحاً وفَيْحاً وفَوَحاناً وفَيَحاناً: انتشرت، وعمّ بعضهم به الرائحتين معاً. ويرى بعضهم أنه لا يقال: "فاحت ريح خبـيثة"، إنما يقال للطّيِّبة، فهي تَفِـيح.

1- Wolf Leslau, Comparative Dictionary of Ge'ez, Wiesbaden: Harrassowitz, 1991, p.467.

2 del Olmo Lete, Gregorio & Joaquín Sanmartín. 2003. A Dictionary of the Ugaritic Language in the Alphabetic Tradition. Leiden: Brill, 2003 p.736.

3- Ernest Klein, A Comprehensive Etymological Dictionary of the Hebrew Language for Readers of English, 1987, p.616.

٤- راجع: اللسان، (فوخ).

5- William Gesenius, Hebrew and English Lexicon of the Old Testament, trans. Edward Robinson, Oxford: Oxford University press, 1930, p.806.

6- Marcus Jastrow, Hebrew-Aramaic-English Dictionary, London: Luzac & Co. 1903, p. 1140.

7- Louis Costaz, Syriac-English-French-Arabic Dictionary, Beyrouth,: dar El-machreq, n.d, p.270.

فاحَ الـحرٌ يَفِـيحُ فَـيْحاً: سَطَعَ وهاجَ.

وفاحت القِدْرُ تَفِـيحُ وتَفُوحُ إذا غَلَتْ.

والفَـيْحُ و الفَـيَحُ: السَّعَةُ والانتشار[١].

هذه المعاني تتردد في اللغات السامية الأخرى. لذا نجد العبرية pūḥa "تنفس"[٢]، والآرامية اليهودية pūḥ "نفخ"، "تبخر"[٣]، والآرامية السورية pāḥ "رائحة عطرة"[٤]، والتيجرية fəḥot "رائحة"، "نتَن"[٥].

ويبدو لنا هنا أن معنى الفوح "الريح الطيبة" قد جاء من "انتشار البخار".

البَخَر: الرائحة المتغيرة من الفم. قال أَبو حنيفة. البَخَرُ :النَّتْنُ يكون في الفم وغيره.

وتَبَخّر بالطيب ونحوه: تَدَخّنَ. والبَخُورُ، بالفتح: ما يتبخر به.

وبُخارُ القِدر: ما ارتفع منها، وكلُّ دخان يسطع من ماءٍ حار، فهو بُخار، وكذلك من النَّدَى[٦].

ونجد الساميات الأخرى تعكس هذا المعنى، حيث نجد في الأكادية baḫrūtu "غليان"[١]، والعربية الجنوبية bḫr "تقديم البخور"[٢]، والإثيوبية bekur "بخور"[٣]. (بخار > رائحة، بخور).

---

[١]- راجع: اللسان، (فوح)، و (فيح).

[2]- Gesenius, p.806.

[3]- Klein, p. 496.

[٤]- علينا أن ننبه هنا إلى أن اللغتين العبرية والآرامية - بخلاف العربية- لا تميز بين الحاء والخاء.

[5]- http://starling.rinet.ru/ (no. 1169).

[٦]- راجع: اللسان، (بخر).

تَهِمَ الدُّهْن واللحم تَهَماً، فهو تَهِمٌ: تغيّر. وفيه تَهَمةٌ أي خُبْث رِيح نحو الزُّهومة، وتَهِم الرجل، فهو تَهِمٌ: خَبُثت ريحُه.

والتَّهَمُ شدّة الحرِّ وسكونُ الريح.

تَهِمَ البعيرُ تَهَماً: وهو أَن يستنكِر المَرْعَى ولا يَسْتَمْرِئه وتَسُوء حالُه، وهو تَهِمٌ: أَصابه حَرُورٌ فهُزِل[٤].

وفي الواقع يصعب تحديد مصدر هذه المعاني، ولكن يمكن افتراض أنها جاءت من فكرة "شدة الحر وسكون الريح"، وربما جاء من ذلك اسم تهامة؛ لأنها حارة رطبة تتميز بطغيان رائحة الأبخرة المحملة برائحة البحر. ويبقى هناك احتمال آخر هو انقلابها عن تمه (انظر تحت تمه).

نفخ: قالَ أَبو حَنِيفَةَ: النفْخة: الرّائِحَة الْخَفِيفَة الْيَسِيرَة، وَالنَّفْخَة: الرّائِحَة الْكَثِيرَةْ.

ونَفَخ بِفَمِه يَنْفُخ نَفْخاً إِذا أَخرج مِنْهُ الرِّيحَ. قالَ أَبو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ دَخَلْتُ مِحْرَابًا مِنْ مَحَارِيبِ الْجَاهِلِيَّةِ فنَفَخ المسكُ فِي وَجْهِي[٦].

---

[1]- Jeremy G. Black, Andrew George, Nicholas Postgate: A Concise Dictionary of Akkadian, Harrassowitz-Verlag, Wiesbaden, 2000, pp.104, 36.

[2]- A. Beesston, W.Müller, M. Ghul, J. Ryckmans. Sabaic Dictionary (English–French–Arabic). Louvain-la- Neuve: Peeters/Beirut: Librairie du Liban, 1982, p.27.

[3]- D. Cohen, F. Bron et A. Lonnet, Dictionnaire des racines sémitiques ou attestées dans les langues sémitiques , Leuven: Peeters, 1994-2012, fasc. 2, p.719.

[٤]- راجع: اللسان، (تهم).

[٥]- اللسان، (نفخ).

[٦]- راجع: اللسان، (نفخ).

وجذر npḫ في الساميات يعطي معاني "نفخ"، "تنفس". لذا نجد في الأكادية napāḫu "نفخ"، و"أشعل"[1]، وفي العبرية nāpaḥ "تنفس"، نفخ"[2].

إذن، يبدو لنا أنّ "الرائحة" قد جاءت من "النفخ".

نأج: ذكر صاحب الأساس "نأجت الرائحة"، كما يقال: عجّت، وأورد قول الشاعر:

كأن نأج نفحة من سنبل من طيّب الكافور والقرنفل[3]

وذكر اللسان من مشتقات (نأج): نَأَجَ البُومُ يَنْأَجُ نأْجاً: صاح، وكذلك الإِنسان؛ وهو أَحْزَنُ ما يكون من الدُّعاء وأَضْرَعُه. ونَأَجَت الريحُ تَنأَج نَئِيجاً: تَحَرّكَتْ، فهي نَؤُوج، ولها نئِيجٌ أَي مَرٌّ سريعٌ مع صَوْت[4].

ويبدو لنا أن نأج كانت في الأصل كلمة محاكية للصوت onomatopoeia، ثم أطلقت بعد ذلك للدلالة على "صوت الريح" عندما تمر سريعا، ومن ثمّ أصبحت من هذا المنعطف تدل على "انتشار الرائحة".

عجّ: جاء في أساس البلاغة: نأجت الرائحة كما يقال: عجت، وأورد قولهم: "جاء بيلنجوج له أريج وعجيج في البيت ونئيج"، وذكر أيضا قولهم في انتشار الرائحة: "دخل وله رائحة تعج في المسجد"[5]. وفي اللسان: عَجّ يَعِجّ ويَعَجّ عَجّاً وعجيجاً: رفع صوته وصاحَ، وعَجّ الماءُ يَعِجّ عَجيجاً وعَجْعَجَ، كلاهما: صوّت.

1- Black, p.237.

2- Gesenius, p. 655.

3- جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٩٢، (نأج). سيشار إليه في بقية الحواشي بـ (الأساس).

4- راجع: اللسان، (نأج).

5- الأساس (عجج).

والعَجَاج: الغُبار. والعَجَاجُ: الدُّخَان، وعَجَّجَ البيتَ دُخَاناً فَتَعَجَّجَ: مَلأَهُ[1].

والمتأمل في استخدام فعل عجّ للتعبير عن "انتشار الرائحة"، يميل إلى رأي الزمخشري في تشبيه نأج بعجّ. ويبدو لنا أن مسار تطور الدلالة قد بدأ من صوت محاكٍ، ثم دلّ على حركة الرياح القوية المثيرة للتراب؛ لأنها سبب الصوت، ومن ذلك جاء معنى "انتشار الرائحة".

نسم: تَنَسَّم المكان بالطِّيب: أَرِج؛ قال سَهْم بن إِياس الهذلي:

إِذا ما مَشَتْ يَوْماً بوادٍ تَنَسَّمَتْ مَجَالِسُها بالمَنْدَلِيِّ المُكَلَّلِ

ونَسَمَ الشيءُ ونَسِمَ نَسَماً: تَغَيَّر، وخص بعضهم به الدُّهن، والنَّسَم: ريحُ اللبَن والدسَم. والنَّسِيم: ابتداءُ كلِّ ريح قبل أَن تَقْوى.

وتَنَسَّم أَي تنفّس. والنَّسَمَةُ: الإِنْسانُ[2]. [حي (ذو روح) <"يتنفس)]

وجذر nšm السامي يعطي معاني "النفَس" و"الريح". لذا نجد السريانية néšam "تنفّس"، "هبت الريح"، و nešmā "ريح"، "روح"[3]، وفي العبرية nšamā "رياح"، "نفَس"[4].

نَفَح الطِّيب نَفْحاً ونُفُوحاً: أَرِجَ وفاحَ، وقيل: النَّفْحةُ دفْعَة الريح، طيِّبَة كانت أَو خبيثة؛ وله نَفْحة طيبة ونَفْحة خبيثة.

ونَفَحَت الريح: هَبَّت؛ وفي الحديث: "إِن لربكم في أَيام دهركم نَفَحات، أَلا فَتَعَرَّضُوا لها". وفي حديث آخر: "تَعَرَّضُوا لنَفَحات رحمة اللّه". وريح نَفُوح: هَبُوبٌ، شديدة الدفع. والنَّفْحة: ما أَصابك من دُفْعَة البرد[1].

---

[1]- راجع: اللسان، (عجج).

[2]- راجع: اللسان، (نسم).

[3]- Costaz, p.215.

[4]- Koehler-Baumgartner, eds. Lexicon in Veteris Testamenti Libros, Leiden: Brill, 1985, p.639.

هنا أيضا نرى كيف تطور معنى "حركة الرياح" إلى معنى دفعة "الرائحة".

السَّهَك: ريح كريهة تجدها من الإنسان إذا عَرِقَ؛ يقال: إنه لَسَهِكُ الريح، والسَّهْكُ والسَّهَكَةُ: قبحُ رائحة اللحم إذا خَنِزَ. والسَّهَكُ، ، ريح السمك وصَدَأ الحديد؛ يقال: يدي من السمك وصَدَإ الحديد سَهِكة.

وسَهَكَتِ الريحُ، وسَهَكَتِ الدابةُ سُهُوكاً: جَرتْ جَرْياً خفيفاً. والمَسْهك مَمَرٌ الريح.

وسَهَكَ الشيء يَسْهَكه سَهْكاً: سَحقه، وقيل: السَّهْك الكَسْر والسَّحْق بعد السَّهْك[٢].

ويبدو أنّ أصل معنى "الرائحة الكريهة" قد تطور عن معنى سهكت الريح "جرت خفيفة"، وهناك احتمال مجيئه من السهْك وهو "سحْق الشيء"[٣] الذي أعطانا معنى "التحلل والفساد".

فارَ المسك: انتشر، وفارةُ المِسْك: رائحته، وقيل: فارتُه وعاؤُه.

فارتِ القِدْرُ: إذا غلت وجاشت.

ويقال للرجل إذا غضب: فارَ فائرُه، وفار العِرْقُ فَوَراناً: هاج ونَبَعَ.

وفارةُ الإبل: فَوْح جلودها إذا نَدِيَتْ بعد الوِرْدِ.

وفَوْرُ الحرّ: شدّته، والفائرُ: المنتشرُ الغَضَب من الدواب وغيرها[٤].

---

[١]- راجع: اللسان، (نفح).
[٢]- راجع: اللسان، (سهك).
[٣]- انظرك اللسان، (سهك).
[٤]- راجع: اللسان، (فور).

ونجد في اللغات السامية جذر pwr يدور حول معان مقاربة؛ فنجد في العبرية pūrā "رغوة" التي يربطها Gesenius بالفعل فار في العربية الذي يعني "غلى"[1]، والسريانية pūrtā "غضَب"[2] (انظر فوق: العربية فائر). إذن الدلالة المركزية لجذر فار هي "الغليان" و"الثوران".

فَوْعة الطيب: ما مَلأَ الأنف منه، وقيل: هو أَوّلُ ما يفوح منه؛ ويقال: وجدْتُ فَوْعةَ الطيب وفَوْغَتَه، بالعين والغين، وهو طيب رائحتُه تطير إِلى الخياشيم[3].

ويذكر صاحب اللسان أيضا من معاني فوع: فَوْعة السمّ: حدّته وحَرارته، وفَوْعة النهار وغيره: أَوّلُه، ويقال ارتفاعه، وفَوْعة العشاء: أَوّل الظلمة. وفي الحديث: احْبِسُوا صِبيانكم حتى تَذْهَب فوْعةُ العشاء أَي أَوّلُه كَفَوْرَتِه[4].

ويعتبر صاحب المقاييس أنّ الفاء والواو والعين تدلُّ على ثَوْرٍ في شيء، ويدلل على ذلك بإطلاقهم على ما ثار من ريح الخِمْرة والطِّيب لفظ (فَوْعة)[5].

وفي اللغات السامية، نجد جذر pwᶜ في الآرامية، يفيد معاني: "تنفس"، "نفخ"[6]. وهناك جذر عربي آخر هو فوغ الذي تعطي مشتقاته معاني مشابهة لمعاني فوع؛ لذا نجد: فاغَت الرائحَة: "فاحَتْ". وفَوْغَة الطيب: "فَوْحَتُهُ". والفائغَة: "الرائحَة المُخَشّمَة". ومعلوم من صوتيات اللغات السامية أن (غ) تتغير إلى (ع) في بعضها، وفي ضوء ذلك يمكن افتراض أن فوع متغيرة عن فوغ.

---

[1]- العلاقة بين دلالة "الرغوة" و"الغليان" هي أن الأولى ناتجة عن الثانية.

[2]- Gesenius, p. 807; Costaz, p. 271.

[3]- راجع اللسان، (فوع).

[4]- راجع: اللسان، (فوع).

[5]- أحمد ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٤م. ص٨٢٢. سيشار إليه في بقية الحواشي بـ (المقاييس).

[6]- Jastrow, p.1144.

ويبدو لنا في ضوء مشتقات فوع (<فوغ) في العربية، وفي بعض اللغات السامية أنها كانت تطلق أولا على "النفس" أو "النفخ" من الفم، ثم أطلقت بعد ذلك على "الرائحة".

النّشْر: الرِّيح الطيِّبة. قال مُرَقِّش:

النّشْر مِسْك، والوُجُوه دَنا نيرٌ وأَطرافُ الأَكفِّ عَنَمْ

وفي الحديث: خرج معاوية ونَشْرُه أَمامَه، يعني ريح المسك.

ونَشَرتِ الريح: هبّت في يوم غَيْمٍ خاصة.

ونَشَرَ المَتاع وغيره يَنْشُرُه نَشْرا، بسطه[1].

ويبدو لنا في سياق هذه المشتقات أن جذر نشر كان في الأصل يدور حول "تفريق الشيء"، وربما جاء هذا من عمل الرياح. ويبدو كذلك أن دلالة "الرائحة" قد تطورت عن "حركة الهواء".

النّشا: حِدّة الرائحة، طيبة كانت أَو خبيثة؛ فمن الطيب قول الشاعر:

بآية ما إن النقا طيب النشا إذا مَا اعْتراه، آخِرَ اللّيل، طارِقُهْ

والنّشا: نَسِيم الرِّيح الطيبة؛ وقد نَشِيَ منه ريحاً طيبة نِشْوةً ونَشْوةً أَي شَمّ.

وهو طَيِّب النِّشْوةِ والنّشْوةِ والنِّشْيةِ، والأَخيرة عن ابن الأَعرابي، أَي الرائحة.

وقد تكون النّشوة في غير الريح، يقال: نشِيَ الرجل من الشراب نَشْواً ونِشْوةً، وتَنَشّى وانْتَشَى: سَكِرَ، فهو نَشْوان. وقال شمر: يقال من الرِّيح نِشْوةٌ ومن السُّكْر نَشْوةٌ[1].

[1]- راجع: اللسان، (نشر).

ويقابل هذا في الساميات الأخرى: العبرية naśī' "بخار، دخان (مرتفع)"، من nāśa' نشا "ارتفع"[٢].

ويبدو لنا أيضا هنا أن دلالة "الرائحة" قد تطورت عن "حركة الهواء"، وأما علاقة "البخار والدخان" بـ "الهواء" فمحتمل أنها جاءت من المصاحبة، فالدخان والبخار يرتفعان بواسطته.

٣ -٢ الدخان، الغبار، الوسخ والعرق

لقد جعلنا هذه الحقول في خانة واحدة لأنها متقاربة الدلالات، ومتداخلة الألفاظ أيضا. وهذه الحقول مصدر مهم لمعجم الرائحة؛ حيث نجد عددا من مفرداتها تعود في دلالاتها القديمة إلى "الدخان"، أو "الغبار"، أو "الوسخ، والعرق"، وقد يبدو لنا أن "الوسخ والعرق" شاذان عن سابقيهما، ولكن علينا أن نتنبه إلى أن الإدراك اللغوي ليس تصنيفا عقليا صرفا، وإنما قد ينظر إلى علاقات إدراكية واقعية أخرى أكثر منها عقلية. فيبدو لنا أن إطار العلاقة الإدراكية (العرفانية) بين هذه المعاني هو "التلوّث"، وبما أنّ الغبار والدخان يقعان على الأشياء والطعام فيلوثانها، فهما في هذا كالوسخ والعرق. ومن ألفاظ الرائحة التي تعود إلى هذا الحقل:

القُتار: ريح البَخُور، وأَقْتَرَت المرأَةُ، فهي مُقْترة: إِذا تبخرت بالعود.

والقَتَرة: الغَبَرة؛ ومنه قوله تعالى: (ووجوه يومئذ عليها غَبَرَةٌ، تَرْهَقُها قَتَرَةٌ[٣])

وفي التهذيب: القَتَرة: غَبَرة يعلوها سواد كالدخان، والقُتار: ريح القِدْر[١].

---

[١]- راجع: اللسان، (نشو).

[2]- Gesenius, p. 672; Klein, p. 427,428.

[٣]- سورة عبس، ٤١.

ويبدو لنا في إطار دلالة هذه المشتقات أن أصل دلالة (قتر) كانت تدور حول معاني "الغبرة" و"الدخان". لذا نجد في العربية لفظ قَترة تفيد معنى "غبرة يعلوها سواد كالدخان"، وفي الأكادية qatāru "دخّن"، و qatru "دخان"[٢]، والجعزية qatara و qattara "دخّن"، و"أصدر رائحة"، و qəttār "دخان"، "بخور"[٣].

القُطْر: العُود الذي يُتَبَخّر به؛ وقد قَطّر ثوبَه وتَقَطّرَت المرأَة، والمِقْطَر والمِقْطَرَة: المِجْمَر[٤].

ويبدو لنا من مقارنة الساميات الأخرى أن المعنى المحوري كان يدور حول "الدخان"؛ حيث نجد: العربية: قتر، والقتارْ "الدخان"، "رائحة الدخان"، "ريح البخور"[٦] (تغيرت التاء إلى الصوت المطبق (ط))، والأغاريتية qṭr "بخور"، والأكادية qatāru "دخّن"، و qutār "بخور"[٧]، والعبرية qīṭōr "دخان كثيف"[٨] والعربية الجنوبية maqṭar "مجمرة للبخور"[٩]، والإثيوبية qattara "بخّر"، "دخّن"، ,قتار qəttār"دخان"، "بخور"[١٠].

العِطْر: الطِّيب، وعَطِرت المرأَة: تَطيّبتْ. ومِعْطيرٌ: حَمْراءُ طَيِّبَةُ العَرْفِ.

١- راجع: اللسان، (قتر).

2- Black, p.286.

3- Leslau, p.452.

٤- راجع: اللسان، (قطر).

٥- تغيرت التاء إلى طاء، وهذه مماثل للتغيير نفسه الذي حدث في الأغاريتية والعبرية والعربية الجنوبية.

٦- اللسان، (قتر).

7- Black, p. 286, 292.

8- Koehler-Baumgartner, p.835, Gesenius, p. 882, Leslau, p.452.

9- Beeston et al. Sabaic Dictionary: English-French-Arabic. Uiversity of Sanaa: Éditions Peeters, Louvain-la-Neuve; Beyrouth: Librairie du Liban, 1982, p. 109.

10- Leslau, p.452.

وناقةٌ مِعْطار ومُعْطِر: شديدة حَسَنة [1].

واللغات السامية تعكس لعتر/عطر عددا من الدلالات المشابهة أو المقاربة؛ فنجد في العبرية عتر ʿātār "رائحة"[2]، وفي الآرامية ʿaṭar "دخان"، و ʿṭar "دخّن" [3]، والسريانية ʿṭar "زفر، تنفس"، "ارتفعت، سطعت (الرائحة)"، و ʿaṭēr "هائج"، متصاعد (دخان)[4]. كذلك نجد عالم الساميات Leslau يقابل عطر العربية بالإثيوبية ᶜaṭana عطن "يحرق البخور"، "يعطّر" التي تعرضت لتغيير صوتي باستبدال الراء بنون[5].

ويبدو لنا في ضوء هذه المشتقات العربية والسامية أن معاني الجذر السامي (عطر/عتر) كانت تدور حول "التنفس"، و"البخار"، والدخان"، وهي معانٍ متقاربة ومتداخلة، ومنها انبثقت دلالة "الرائحة".

البَهْنانة: المرأة الطيِّبة الريح، وقيل: الطيِّبة الرائحة الحسَنة الخُلقِ[6]، وفي الصحاح: المرأة الطيِّبة النفَس والأَرَجِ[7].

وربما يقابل هذا الجذر bhn بـهن في الإثيوبية، حيث نجد من مشتقاته في الجعزية: bāhnana "ارتفع (الدخان)"، و"استيقظ"[8].

---

[1]- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧م، (عطر). سيشار إليه في بقية الحواشي بـ (اللسان). سيشار إليه في بقية الحواشي بـ (القاموس المحيط).

[2]- Gesenius, p. 801.

[3] - Klein, 491; Jastrow, p.1065

[4]- Costaz, pp.250, 251.

[5]- Leslau, p.76.

[6]- راجع: اللسان، (بهنن).

[7]- انظر: إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م، (بهنن). سيشار إليه في بقية الحواشي بـ (الصحاح).

[8]- Leslau, p.90.

إذن يبدو أنّ دلالة "انتشار الرائحة" قد نشأت من "ارتفاع الدخان أو الغبار".

القَنَم والقَنَمة: نَتَن الرائحة، وقَنِمَتْ يدي من الزّيْت، فهي قَنِمَة: أي وَسِخَة، وكذلك اللّحْم إذا خَبُثَتْ رِيْحُه[١]. وفي متن اللغة: قنِم السقاء: أروح وأنتن، وقَنِمَ الشّعر قَنَما: أصابه النّدى ثم ركبه الغُبَار فاتسخ[٢].

يبدو أن أصل دلالة قنم كان "الغبار"، أو "الوسخ"، ومن ذلك جاء معنى "الرائحة الكريهة".

سَجّس إبْطُه: أنْتَن، وسَجّس المنهَل: أَنْتَن ماؤُه وأَجَن، وقال ابن سيده: ماء سَجَس وسَجِيس: كَدِر متغير، وقيل: سُجِّسَ الماء فهو مُسَجّس وسَجِيس: أُفسد وثُوِّرَ؛ وقيل للماء الراكد سَجِيس.

والسّاجِسِيّة: ضأنٌ حُمْر[٣].

ونجد في الساميات: العبرية: šigeš "مُعكّر"[٤]؛ والآرامية šgīš "مشوّش"[٥]، والسريانية: šégīš "مزعج، مكدّر" و ištagaš "تلبّدت الغيوم"، و"تعكّرت (الخمر)"[٦]. وهذه كلها دلالات ذات علاقة بتغيّر لون الشيء.

ويبدو لنا في ضوء ما تقدم أن المعنى الأقدم كان يدور حول "إثارة الشيء"، وربما "إثارة الغبار أو الماء "، ومن ذلك جاءت معاني "الكدرة"،

١- راجع: اللسان، (قنم).

٢- أحمد رضا، متن اللغة، بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٠، (قنم).

٣- راجع: اللسان، (سجس).

4- Klein, p. 640.

5- Michael Sokoloff, A Dictionary of Jewish Palestinian Aramaic, Ramat-Gan: Bar Ilan University Press, 1992, p.1106.

6- J. Payne Smith. A Compendious Syriac Dictionary, Oxford: The Clarendon Press , 1903, pp.559, 560.

ومن ثَمّ "التلوث، والفساد"، وهذا يفسر إطلاق لفظ ساجسية على غنم حمر، التي يبدو أنها كانت كُدراً، وهو لون فيه مسحة من الحمرة.

ومن معنى " تغير لون الماء وكدرته" انبثقت دلالة" "الرائحة الكريهة".

العَرْف: الرّيح، طيّبة كانت أَو خبيثة. يقال: ما أَطْيَبَ عَرْفَه، وفي المثل: "لا يعْجِز مَسْكُ السّوْء عن عَرْف السّوْء"[١]. وفي القاموس المحيط العَرْف: الريحُ، طَيِّبَةً أو مُنْتِنَةً، وأكْثَرُ اسْتِعْمَاله في الطّيِّبَة. وعَرّفَه: طَيّبَه وزَيّنَه. والتعْرِيف: التطْييبُ من العَرْف. وعَرُفَ الرجلُ إذا أَكثر من الطِّيب، وعَرِفَ إذا تركَ الطِّيب[٢].

ويرى Leslau أنّ عرف في العربية منقلبة عن عفر[٣]. وفي الساميات نجد الجذر السامي عفر ʿpr يدور حول معاني: "غبار"، و"تراب". ويبدو أنها تطورت في العربية والسريانية إلى معاني "الطيب" بسبب طبيعة تركيب بعض أنواع "البخور المسحوق" الذي يسحق حتى يكون ناعما كالتراب الدقيق؛ لذا نجد في السريانية aprā dalabūntā "بخور مسحوق"[٤]، وفي الجعزية afara "نشر رائحة طيبة"، و frat "عطر زيتي" ، والأمهرية afär "طِيب"[٥].

وهناك من يربطها بالجذر السامي (عرف) الذي يفيد معاني "الغمام" و"السحاب"، لذا نجد الأكادية urpu "سحابة"، erēpu(m) "غطت السحب"، "أظلم"[٦]، والأوغرتية rp "عاصفةُ سحب"[٧].

القتَمة: رائِحة كريهة[١].

١- انظر: اللسان، (عرف)

٢- القاموس المحيط، (عرف).

3- Leslau, p. 58.

4- Smith, p. 422.

5- Leslau, p.58.

6- Black, p.77, 420.

7- Lete, p.184.

والقُتْمة: لَوْنٌ أغْبَر، ونَباتٌ كَريه[٢]، والقَتامُ: الغُبار، والقُتْمَة: لَوْنٌ أغْبَر، والأقْتَم: الأسْوَد، كالقاتِمِ. واقْتَمّ اقْتِماماً: اسْوَدّ. وقَتَمَ الغُبارُ قُتوماً: ارْتَفَعَ[٣].

وربما يقابل هذا الجذر في الأكادية qitmu "معجون أسود"[٤]. وفي العبرية ketem "لطخة دم"[٥] والآرامية ketem "لطخة حمراء داكنة"[٦] وفي السريانية ktam "لطخ"، "وسّخ"، "نجس"[٧].

ولعل معنى "الرائحة الكريهة" قد جاء من معنى "الغبار".

الصِّيق: الريح الـمُنْتِنة من الناس والدواب، والصِّيق: الغبار، والصِّيق: الصوتُ[٨].

ويبدو أن جذر (صيق) من المشترك السامي، حيث نجد مقابله في السريانية zīqā (ص > ز) "مطر شديد مع رياح"[٩]، وفي العبرية zīq "رياح"[١٠] وفي الإثيوبية (الجعزية) ṣayaqa "أفسد"، و(التيغرينية) ṣäyäqä "تراب"، "وسِخ"[١١]. يمكننا افتراض أن دلالات جذر صيق القديمة

١- القاموس المحيط، (قتم).

٢- القاموس المحيط، (قتم).

٣- انظر: اللسان، (قتم)

4- Black, p.290. قارن أيضا في العربية:

الكَتَم نبت فيه حُمرة (لسان (كتم))

5- Koehler-Baumgartner, p. 461.

6- Jastrow, p.681.

7- Smith, p. 231; Costaz, p. 165.

٨- ذكر بعضهم (اللسان (صيق)) أنها مُعرّبة عن العبرية، وبعضهم قال: عن النبطية، ولكنا نشك في ذلك؛ لأن هذه الكلمة موجودة في الإثيوبية والسريانية كما سنرى، ويبدو أنها من المشترك السامي.

9- Smith, p. 115.

10- Klein, p. 197.

11- Leslau, p.568.

كانت تدور حول معانٍ قريبة من معنى "الغبار" و"الوسخ"؛ ومن ذلك جاء معنى "الرائحة المنتنة".

النَّتْن: الرائحة الكريهة؛ يقال نتَنَ اللحم وغيره يَنْتِنُ وأَنْتَن. وقال ابن بري: والنِّيْتُون شجرة خبيثة مُنْتِنة[١].

وربما جذر (نتن) متغير عن الجذر السامي tnn (تنن) الذي تدور معانيه حول "دخان، غبار". لذا نجد في الآرامية ténan ، والسريانية tənānā "دخان"[٢]، والجعزية yətnən "يعلو (الغبار، الدخان)"[٣].

٣ -٣ الحركة والاندفاع والقوة

من أهم التصورات الإدراكية المتعلقة بالرائحة عند العرب أنها مواد متنقلة في الهواء وتعبر من مكان إلى آخر، وتندفع إلى الأنوف بسرعة وقوة. لذا، نجد بعض ألفاظ الرائحة قد أُخذت عبر هذه التصورات من ألفاظ تدل على "الاندفاع" و"القوة":

العَبِير: أَخْلاطٌ من الطيب تُجْمَع بالزعفران، وقيل: هو الزعفران وحده[٤].

وجذر (عبر) في العربية يفيد معاني "الانتقال من مكان إلى آخر"؛ لذا نجد في اللسان: عَبَرْت النهر والطريق إذا قطعته من هذا العِبْر إلى ذلك العِبر. وعَبرَ السبيل يَعْبُرُها عُبوراً: شَقّها. والعُبْر السحب التي تسير سيراً شديداً[٥].

---

[١]- انظر: اللسان، (نتن).

[2]- Smith, p. 617.

[3]- راجع : Leslau, p.577. وراجع أيضا:
http://starling.rinet.ru/cgi-bin/main.cgi?root=config (no. 3079).
ولكن هناك من يربط tnn بالجذر السامي عثن "دخان". انظر: Leslau, p. 577 .

[٤]- انظر: اللسان، (عبر).

[٥]- انظر: اللسان، (عبر).

ويرى ابن فارس أن العين والباء والراء أصل صحيح واحد يدلّ على النفوذ والمضيِّ في الشيء. يقال: عَبَرت النّهرَ عُبُوراً[1].

وفي ضوء هذا، يبدو لنا أنّ عبير "أخلاط الطيب"، "الزعفران" قد جاءت من عبَر الذي تدور معانيه حول "العبور" و"الانتقال من مكان إلى آخر". ومعاني هذا الجذر في الساميات تعطي كذلك معاني "الانتقال" و"الذهاب"؛ لذا نجد في العبرية ābar، والأكادية ebēru ، والآرامية ʿabār[2] تؤدي معنى "عبر" و"انتقل إلى مكان آخر"، بل إنّا نجد المشتق ābar في العبرية يفيد المعنى الذي تفيده عبير في العربية؛ أي "الرائحة الطيبة"[3].

الدّفَر: النّتْن خاصة، وعن ابن الأَعرابي: أَدْفَرَ الرجل إِذا فاح ريح صُنَانِه، ونقل تاج العروس عن القالي: أنّ الدّفْر (بسكون الفاء) تعني حدة الرائحة في النتن أو الطيب، والدفَر (بفتح الفاء) تعني النتن خاصة.

ومن معاني الدّفْر: "الدفع"؛ يقال: دَفَرْته فِي قَفَاه دَفْراً: دفعته ؛ يمانـية[4].

ويبدو لنا أن المعنى الأقدم لجذر (دفر) هو "الدفع". لذا يمكننا تفسير معاني عدد من المشتقات[5] في ضوء هذا المعنى. من ذلك:

- الدّفْر، وأُمّ دَفْر: من أَسماء الدواهي التي نرى أن معناها ربما جاء من "الشيء الذي يُدفر"، أي "يدفع".

---

[1]- المقاييس، ص ٧٢٩.

[2]- Koehler-Baumgartner, p. 675, Jastrow, p.1039.

[3]- W. Wilson, The Bible Student´s Guide by, http://www.tyndalearchive.com//TABS/Wilson/index.htm (smell).

[4]- مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، الكويت: التراث العربي، ١٩٦٥-٢٠٠١م، (دفر). سيشار إليه في بقية الحواشي بـ (التاج).

[5]- انظر هذه الألفاظ في التاج، (دفر).

- دَفْراً دَافِراً: يقال للرجل إذا قَبَّحْتَ أَمْرَهُ: نرى هذا التعبير قد جاء أيضا من "الدفع" كأنك تقول له "بُعْدا لك".

- كتيبة دفراء: ذكروا أنها سُميت بذلك من رائحة الحديد، ونرى أنها قد تكون من "الدفع" لاندفاعها وليس من "الرائحة".

- الدَّفْر "الذُّلُ": نرى أنه مأخوذ من "الدفع" الذي هو مظهر من مظاهر الذل.

واللغات السامية تعضد معنى "الدفع". نجد في الأغارتية dpr "زفر بقوة"، "أطلق رائحة قوية"[1]، وفي الإثيوبية dafara "جريء"، defur "من يعامل بوقاحة"[2]، وفي الأكادية duppuru "تحرك"، ابتعد"، و dapāru "اندفع بكثرة"[3]، وهذه في الحقيقة معانٍ غير بعيدة عن فكرة "الدفع"، بل يبدو أن هذا المعنى يعود إلى حقبة الحامية-السامية؛ لأنا نجد صداه في بعض اللغات الحامية، حيث ورد في قاموس الحامية-السامية لفظ البربرية dfi بمعنى "ضغط"، والآزناكية[4] edfir "ادْفع"[5].

الدَّفَر، والدَّفَرَة: شِدّة ذَكاء الريح من طِيب أَو نَتْن، وخص اللحياني بهما رائحة الإِبطين المنتنين؛ وروضة دَفِرَة، ومِسْكٌ أَدْفَر ودَفِرٌ: ذَكِيّ الريح. وفي صفة الحوض: وطِينُه مِسْك أَدْفَر، أَي طيب الريح[6].

والدفَر: يقع على الطِّيّبِ والكَرِيه، ويفرق بينهما بما يضاف إِليه ويوصف به؛ ومنه صفة الجنة وترابها: مسك أَذفر.

1- Lete, p.277.

2- Leslau, p.124.

3- Black, pp.60, 77.

4- إحدى لغات البربر في جنوب غرب موريتانيا، وشمال السنغال.

5- Vladimir E. Orel, and Olga V. Stolbova, Hamito-Semitic Etymological Dictionary: Materials for a Reconstruction. Leiden: Brill, 1995, p.172.

6- راجع الحديث في الجامع الصحيح: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، القاهرة: المطبعة السلفية، ج٤ حديث ٦٥٨١.

والذِّفْرَى من الناس والدواب: الموضع بين المَقَذِّ ونصف القَذَال، وقيل: هو العظم الشاخص خلف الأُذن. والذِّفِرُّ من الإبل: العظيم الذِّفْرَى، والأُنثى ذِفِرَّة، وقيل: الذِّفِرَّة النجيبة الغليظة الرقبة، والذِّفِرُّ أَيضاً: العظيم الخَلْقِ.

وعن أَبي حنيفة: ذَفِرَ النبت: كثر، واسْتَذْفَرَ بالأَمر: اشتدّ عزمه عليه وصَلُبَ له[1].

ونجد في الأكادية zapāru "أنتن"[2]، وفي السريانية zpar "زنِخ" و"تعفن"، zāprā "عفِن"، "كريه الرائحة"[3]، وفيها نجد أيضا dprānā "كريه الرائحة"[4]، وتصادفنا مشكلة في الساميات التي فقدت حرف (ذ)، لأن هناك جذرا آخر هو زفر الذي يعطي معاني "التنفس، و"إخراج الهواء من الصدر"[5]، وحرف (ز) فيه أصلي غير متغير عن (ذ)، وهناك أيضا زفر التي قد تكون (ز) فيها متغيرة عن (ذ)، خاصة في الأكادية. وفي السبئية نجد ḏfr' "نبتة كريهة الرائحة"[6].

في ضوء هذا يبدو لنا أنّ جذر ḏfr ذفر قديم جدا، وربما يعود إلى حقبة الحامسامية القديمة؛ لأن علماء الساميات يقرنونه ببعض المشتقات في الحامية، مثل: الصومالية ḍafoor ، والتشادية الشرقية السفلى šafor "جانبي الرأس"[7].

لذا يبدو لنا أن أصل معنى (ذفر) في العربية يدور حول معنى "العظام حول الرأس، والعظام خلف الأذنين"، ومن ذلك جاء معنى "صلب، قوي"، ومن ذلك تطورت معاني "القوة"، و"تمام الخلق" (قارن: ذفِر "عظيم

[1]- انظر هذه المشتقات في: لسان العرب، (ذفر).

[2]- Black, p. 444.

[3]- Smith, p. 119.

[4]- Cohen, fasc. 8, p.339.

[5]- اللسان (زفر).

[6]- Joan Copeland Biella, Dictionary of Old South Arabian: Sabaean Dialect, Scholars, Chico: CA, 1982, p.98.

[7]- Orel, p. 550.

الخلق، "طويل تام"). لذا يمكننا أن نقول: إنّ هذا المعنى قد تطور وأصبح يطلق على "الرائحة القوية"، وقد يتعرض للتخصيص الدلالي فيستعمل مع "الرائحة الكريهة" أو "الرائحة الطيبة".

الضّوْع: تَضَوُّع الريحِ الطيبةِ، وهو نَفْحَتُها؛ وضاعتِ الرائحة ضَوْعاً وتَضَوْعَت: نَفَحَتْ. وفي الحديث: جاء العباسُ فجلس على الباب وهو يَتَضَوَّعُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم رائحةً لم يَجِدْ مِثْلَها[1]؛ وتَضَوَّعَتِ الرِّيحُ تَحَرَّكَتْ.

ويقال: ضاعَني أَمرُ كذا وكذا يَضُوعُني إِذا أَفْزَعَني، وضاعت الرِيح الغُصْن: مَيَّلَتْهُ[2].

ويبدو أن أصل دلالة (ضوع) في العربية هو "الحركة"، لذا نجد في العربية الجنوبية ḍW[4] "فزَع"[3] [<حركة هروب سريعة]، ومن "الحركة" جاء معنى "انتشار الرائحة".

فاجَ المِسْك يفوج: سَطَع، وفاجَ كَفاحَ؛ قال أَبو ذؤَيب:

عَشِيَّةَ قامَتْ في الفِناءِ كأَنّها عَقِيلةُ سَبْيٍ، تُصْطَفَى وتَفوجُ

ومن مشتقات جذر (ف و/ي ج) أَفاجَ القومُ في الأَرض: ذَهَبُوا وانْتَشَرُوا.

وفاجَتِ الناقة برجليها تَفِيج: نَفَحَتْ بهما من خَلْفِها؛ وناقة فَيّاجةٌ: تَفِيجُ برجليها[4].

---

[1]- راجع الحديث عند ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطحاوي، بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٧٩م، ج٣، ص ١٠٥.

[2]- انظر: اللسان، (ضوع).

[3] - Beeston, p. 42.

[4]- انظر: اللسان، (فيج).

نلمس من معاني فو/يج في العربية، وبعض أخواتها الساميات أنّها ربما تعود إلى معنى "الدفع" ثم تطور إلى "الانتشار، والتبخّر"؛ لذا نجد في الآرامية pōg "تبخّر"، "تلاشى"[1]، وأشار Leslau إلى أنّ الإثيوبية fagg "كريه الرائحة"، و fagaga "زفر رائحة سيئة"، ربما يقابلها فاج في العربية[2].

الزّخَمَة: الرائحة الكريهة، وطعام له زَخَمَة أي رائحة كريهة، ولحم زَخِم: دَسِم، خبيث الرائحة، وقيل: هو أَن يكون نَمِساً كثير الدّسَمِ فيه زُهُومة، وخص به بعضهم لحوم السباع.

ونجد كذلك من معاني مشتقات زخم: زَخَمَه زَخْماً: دفعه دفعاً شديداً[3]؛ وفي القاموس المحيط: ازْدَخَمَ الحِمْلَ: احْتَمَلَهُ[4].

ويبدو أن المعنى القديم لجذر (زخم) هو "الدفع"، و"القوة". نلمس ذلك أيضا من معانيها في بعض الساميات الأخرى؛ من ذلك الآرامية zaḫomm "قوي، قادر"، والسريانية zaḫmā "قوي"، "شديد"[5]، والإثيوبية zəḫma زخما "حار"[6].

الفَنَع: طِيب الرائحة، والفَنَع: نَفْحة المِسْكِ، ومِسْك ذو فَنَع: ذَكِيّ الرائحة[7].

وفي تاج العروس: فَنِعَ: كَثُر مالُه ونَما، وَفي الأمثال: مَنْ قَنِعَ فَنِعَ. أَي استَغنى، وكَثُرَ مالُه.

1- Jastrow, p.1139.
2- Leslau, p.156.
3- انظر: اللسان، (زخم).
4- القاموس المحيط، (زخم).
5- Cohen, fasc. 8, p.719.
6- Leslau, p.634.
7- انظر: اللسان، (فنع).

والفَنَع: الخَير والكَرَم، والفَضْل الكثير، والزِّيادَةُ في المال، وحسْنُ الذِّكْرِ. وَفِي السَّيْرِ، يُقَال: "مالٌ ذُو فَنَعٍ"، أَي كَثيرٌ. ويُقال: "فَرَسٌ ذُو فَنَعٍ فِي سَيرِه"، أَي زِيادَةٍ[1].

هذه المشتقات تشير إلى أن الدلالة المحورية لجذر (فنع) تدور حول "الزيادة والكثرة"، ومنها جاء "ظهور الرائحة، وانتشارها". وربما جاءت دلالة الفنع على "حسن الذكر" من "انتشار الرائحة (الطيبة)".

٣ -٤ الفساد والعفن والضعف

"الفساد والعفن" مصدر مهم من مصادر ألفاظ الرائحة؛ لأمر بسيط ومنطقي هو أن الأشياء التي تصبح فاسدة ومتعفنة تبدأ في بعث الروائح الكريهة منها. ذكر Buck أن دلالة "التحلّل والفساد" تسبْق دلالة "الرائحة" في عدد من مفردات هذا الحقل" في اللغات الهندو-أوروبية[2]. ونلحظ هذه الظاهرة في مفردات الرائحة في العربية كذلك:

نَشَمَ اللحم تَنْشيماً، إذا تغيّر وابتدأت فيه رائحةٌ كريهة، والـمُنَشّمُ: الذي قد ابتدأَ يتغيّر؛ وأَنشد:

وقد أُصاحِبُ فِتْـياناً شَرابُهُمُ خُضْرُ الـمَزاد ولَـحْمٌ فـيه تَنْشِيمُ

والـمَنْشِم: حبٌّ من العِطْر، والـمَنْشَم والـمَنْشِم: شيء يكون فـي سنبل العِطر يُسَمِّيه العطّارون رَوْقاً، وقال بعضهم: هي ثمرة سوداء مُنْتِنَة.

[1]- التاج، (فنع).

[2]- Carl Darling Buck, A Dictionary of Selected Synonyms in the Principal Indo-European Languages, Chicago: University of Chicago Press, 1949, p.1027.

والنَّشَمُ أَيضاً: مثل النَّمَش على القلب؛ يقال منه: نَشِم، بالكسر، فهو ثورٌ نَشِمٌ إذا كان فيه نقط بيض ونقط سود[1].

ويبدو لنا أن المعنى الأقدم من بين هذه المعاني هو "النمش"، ومعروف أن الفساد في اللحم أو الخبز يبدأ أحيانا بتغير اللون في شكل نقط[2].

تمِه الدُّهْن واللبن واللحم: تغير ريحه وطعمه؛ وتَمِهَ الطعام فَسَد. والتَّمَه في اللبن: كالنَّمَسِ في الدَّسَمِ[3]. ويرى ابن فارس أن التاء والميم والهاء أصل واحد يدلّ على "تغيّر الشّيء"، مدللا على ذلك بقولهم: تَمِه الطّعام إذا "فسدَ". وتَمِهَ اللّبَن "تغيّرتْ رائحتُه"[4].

ويبدو لنا أن المعنى المحوري لهذه المعاني يدور حول "الفساد"، و"تغير الطعم"، ومن هنا جاء معنى "تغير الرائحة وكراهتها". وربما لجذر (تمه) هذا علاقة بجذر tmh السرياني الذي نجد من مشتقاته témīh "بليد"[5]، وهو معنى قريب مجازيا من معنى "فقدان الطعم".

الخَمَن: النَّتْنُ[6].

وخَمَن الشيء وخَمَّنَه: قال فيه بالحَدْس أَو الوَهْمِ[7].

هذه المشتقات تشير إلى أن معاني خمن كانت تدور حول معاني "الضعف"؛ يؤيد ذلك معاني خمّان التي تعني: "الرِّمْح الضّعيف"، وخَمّان

---

[1]- انظر: اللسان، (نشم).

[2]- وهناك احتمال كون (نشم) من ركام نسم (بالشين السامية) التي من بقي صورها نسم (التي تغير فيها ش>س)، ونسيم التي تدل على "الهواء المتحرك" و"النفَس" (راجع فقرة ٣-١).

[3]- انظر: اللسان، (تمه).

[4]- راجع: المقاييس، ص ١٧٤.

[5]- Smith, p.614.

[6]- انظر: التاج، (خمن).

[7]- اللسان، (خمن).

الناس: "خُشَارَتُهُم، ورَديُّهُم"، وخامِن الذِّكْرِ: "خامِلهُ"، والتَّخْمِين: "القول بالحَدْسِ"[١]، وهو معنى له علاقة بالضعف لأنه "أمر واه" غير قوي، ومن معنى "الضعف" جاء معنى "الرديء"، و"الفاسد"، ومن ثَمّ "كريه الرائحة"، وكلها معانٍ متلازمة.

خَمّ اللحمُ وهو خَمٌّ: "أَنتن" أَو "تغيرت رائحته"؛ وعن الليث: اللحم المُخَمّ: الذي قد تغير ريحه، ولمّا يفسدْ. وقال أبو عبيد: إذا خَبُثَ ريح السِّقاء فأَفسد اللبنَ قيل: أَخَمّ اللبن[٢].

وهناك في الواقع تداخل بين جذور (خمن) و(خمم) و(خما) و(خمأ) في اللغات السامية، ويبدو أن الدلالة القديمة كانت تدور حول معاني "الفساد" و"التحلّل"؛ لذا نجد في العربية الجنوبية (الجبالية[٣]) ḫamun "رائحة سيئة"[٤]، والسريانية ḥémā (ح في السريانية = خ في العربية) "ذبل"، "خفت"، "أصبح باهتا"[٥]، وقريب من معنى الفساد نجد الأوغاريتية ḥmāt (ḫm'>) "لبن متخثر"[٦]. ويربط Gesenius جذر حما ḥemā ومشتقه ḥém'ā "لبن رائب" في العبرية القديمة[٧] باللفظ العربي خما (اللبن) "تخثر"[٨].

خَمِجَ اللحم: أَرْوَحَ وأَنْتَنَ، وخَمِجَ التمر: فسد جَوْفه وحَمُض.

١- راجع معاني هذه الكلمات في: اللسان، والتاج، (خمن).

٢- انظر: اللسان، (خمم).

٣- من لهجات العربية الجنوبية التي بقيت في إقليم ظفار.

4- Cohen, fasc. 10, p.997.

5- Smith, p. 145.

6- Issam K .H. Halayka, A Comparative Lexicon of Ugaritic and Canaanite. Münster, Ugarit-Verlag, 2008. p.171

7- Gesenius, p.326.

٨- القاموس المحيط (خما).

والخَمَج: الفُتُور من مَرَضٍ أَو تعب، يمانية، وأَصبح فلان خَمِجاً أَي فاتراً[١]. ويعيد ابن فارس أصل الخاء والميم والجيم إلى معنى "الفتور والتغيُّر"؛ فالخَمَج في الإنسان: الفتور. يقال أصبَحَ فلانٌ خَمِجاً، أي فاتِراً[٢].

ونجد في لهجة الدثينة (اليمن) خمَج تفيد معنى "عكّر"[٣] وفي الإثيوبية: الجعزية ḫamaga "أزعج، "عكّر"، و ḫemag "تلوّث، و"عتمة"، والأمهرية ä(t)ammägä "تعفن"، "أصدر رائحة كريهة"[٤].

ويبدو لنا أن الدلالة القديمة لجذر (خمج) كانت تدور حول "الفتور"، الذي ولّد معنى "الفساد"، من طول المكث؛ ومن ثَمّ جاءت دلالة "الرائحة الكريهة". أما دلالتا "التعكير"، و"الإزعاج"، فيبدو أنهما جاءتا تاليا من معنى "الرائحة الكريهة" لأنها تؤدي إلى ذلك.

تَفِل الشيءُ تَفَلاً: تغيّرت رائحته، والتّفَل ترك الطيِّب. رجل تَفِل أَي غير مُتَطَيِّب بَيِّن التّفَل، وامرأَة تَفِلة[٥].

ويرى ابن فارس أن التاء والفاء واللام أصلٌ واحدٌ، هو خُبْثُ الشيء وكَرَاهَتُه؛ فالتّفَل الرِّيحُ الخبيثة[٦].

ويذكر اللسان: تَفَل يَتْفُل تَفْلاً: بَصَق؛ ومنه تَفْل الرّاقي. والتِّفْل والتِّفَال: البُصاق والزّبَد ونحوُهما[٧].

وتعطي الساميات معاني مشابهة، حيث نصادف العبرية tāpal "تافِه"، "لا طعم له"[١]، و"غير مملوح"؛ والآرامية tpal "تكلم بتفاهة"[٢].

١- انظر: اللسان، (خمج).

٢- انظر: المقاييس، ص ٣٢٩.

3- Cohen, fasc. 10, p. 995.

4- Leslau, p. 232.

٥- انظر: اللسان، (تفل).

٦- انظر: المقاييس، ص ٦٥.

٧- انظر: اللسان، (تفل).

ويبدو أن هذه المعاني تعود إلى فكرة "بصق الشيء" الذي عادة ما يكون "سيئ الطعم"، ثمّ عن طريق تراسل الحواس نقل اللفظ للدلالة على "سوء الرائحة" أيضا لترابط الاثنتين.

السّناخَة والسِنْخة: الريح المُنْتِنة، والوَسَخُ وآثار الدباغ؛ وسَنِخَ الدُّهْنُ والطعامُ وغيرهما سَنَخاً: تغير؛ وقيل: لغةٌ في زَنِخَ يَزْنَخ إذا فسد وتغيرت ريحه[٣].

وجذر هو (زنخ)، قريب من سنخ، ومن مشتقاته في القاموس المحيط: زَنِخَ الدُّهْن: تَغَيَّرَ، فهو زَنِخٌ[٤]، وفي المحكم: زنِخ الدهن والسمن "تغيرت رائحته"[٥].

ونجد في الساميات جذورا قريبة لفظيا من سنخ وزنخ هي: العبرية: znḥ (ح العبرية = خ العربية) "تعفن"، و ṣḥn "تعفن"[٦] التي ربما تكون مقلوبة عن ṣnḥ ؛ والسريانية ṣḥan "ملوث، قذر"[٧].

ربما الأصل هو *صنخ ومنه جاء عن طريق التغيير الصوتي زنخ التي تغيرت بدورها إلى سنخ. قارن في اللسان صَنِخَ الوَدكُ وسَنِخَ وهو الوضَح والوسَخ[٨].

عَطِنَ الجلد وانْعَطَنَ، فهو عَطِن: وُضِعَ في الدباغ وتُرِكَ حتى فَسَدَ وأَنْتَنَ، وقيل: هو أَن يُنضح عليه الماء ويُلَفّ ويدفن يوماً وليلة ليسترخي صوفه

1- Gesenius, p. 1074.
2- Klein, p. 712.
٣- انظر: اللسان، (سنخ).
٤- انظر: القاموس المحيط، (زنخ).
٥- انظر، ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م، (زنخ) ج٥، ص١٠٠.
6- Gesenius, p. 276.
7- Smith, p. 477.
٨- اللسان، (صنخ).

أَو شعره فينتف، وهو حينئذ أَنتن ما يكون. وفي حديث عمر، رضي الله عنه: دخل على النبي، صلى الله عليه وسلم، وفي البيت أُهُبٌ عَطِنة؛ قال أَبو عبيد: العَطِنَةُ المُنْتِنة الريح[1]. وفي عصور متأخرة أصبحت دلالته على "العفن" أوضح؛ ينقل دوزي عن بوشر: عطن (الشراب): أسنّ، وفسد[2].

اللّخَن: نتْنُ الريح عامّةً، وقيل: اللّخَن: نتْنٌ يكون في أَرْفاغ الإِنسان؛ ولَخِنَ السقاء: تغير طعمه ورائحته. وفي التهذيب: إِذا أُدِيمَ فيه صَبٌّ اللّبَن فلم يغسل، وصار فيه تَحْبيبٌ أَبيض مثل السِّمْسِمِ أو أَكبر منه متغيرُ الريح والطعم[3].

ويبدو من هذا أن معنى "الرائحة الكريهة" قد جاء من "التعفن" الآتي من "الفساد".

أَلِلَ السِّقاء: تغيرت ريحه، وأَلِلَتْ أسنانُه: فَسَدَتْ.

والأَلَل والأَلِيل: الأَنين[4].

إن جذر (ألل) ثري جداً في مشتقات ومعانيه، وهو في الواقع ليس جذرا واحدا وإنما هو جذور متعددة تجانست ألفاظها واختلفت معانيها. وإذا أردنا أن نستشف أصل (ألِل) وعلاقتها بتغير الرائحة، فربما نجد "الضعف، والفساد" هو الرابط[5]، وفي هذه الحالة يمكن أن تُناظر بالعبرية ʾlīl

---

[1]- انظر: اللسان، (عطن).

[2]- رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، بغداد: دار الثقافة والإعلام (عطن)، ١٩٨٠م، ٢٣٦/٧.

[3]- انظر: اللسان، (لخن).

[4]- انظر: اللسان، (ألل).

[5]- ربما الدلالة القديمة كانت "صوت الشكوى والألم" ثم تحولت إلى "الضعف، والفساد".

"فاسد"، "ضعيف"[1]، والأرامية ʾélīl "ضعيف"[2]، "فضلات (اللحم)"[3]، والسريانية ʾalīl "ضعيف"، "خسيس"[4].

٣ -٥ الخفاء

هناك بعض ألفاظ الرائحة التي تُصور بدايةَ إدراك الروائح عندما تكون ضعيفة وتتسرب شيئا فشيئا إلى الأنوف، وقد لا يُدرك الإنسان ماهيتها بالضبط في أول الأمر، سواء كانت تلك الروائح تنمّ عن شيء فاسد أو عن شيء ذي رائحة لطيفة لكنها غير قوية. ونجد هذه الألفاظ في أصل دلالاتها تدور حو معاني "الخفاء" و"الضعف"، من ذلك:

نَمّ الشيء: سَطَعتْ رائحتُه. والنّمّام نبت طيّب الريح.

والنّمّ: التوريش والإغْراء ورَفْع الحديثِ على وجه الإشاعة والإفْساد، وقيل: تَزْيين الكلام بالكذب.

وقال بعضهم: النّميمة الصوت الخفيّ من حركة شيء أَو وَطْءِ قدَمٍ.

والنامّة: حياة النّفْسِ. والنّميمة: الهَمس والحركة.

ونَمْنَمَت الريحُ التراب: خَطّتْه وتَرَكَتْ عليه أَثراً شبْه الكتابة، وهو النّمْنمُ والنّمْنيم، وكتاب مُنَمْنَم: مُنقّش. وثوبٌ مُنَمْنَمٌ: مرقوم مُوَشّىً، والنِّمْنِم والنُّمْنُمُ: البياض الذي على أَظْفارِ الأحداثِ، واحدته نِمْنِمة؛ وعن ابن الأَعرابي: النّمّة اللّمْعة من بياضٍ في سوادٍ وسوادٍ في بياضٍ.

---

[1]- Gesenius, p.47.
[2]- Smith, p.18.
[3]- Jastrow, p.71.
[4]- Smith, 18.

٥- انظر هذه المشتقات في: اللسان، (نمم).

يبدو أن جذر (نمم) كان في الأصل كلمة محاكية لصوت خفي ضعيف، ثم استعير بعد ذلك عن طريق تراسل الحواس من التعبير عن "الصوت الضعيف" إلى "الأشكال الدقيقة" أو الروائح الضعيفة.

نَمِسَ الوَدَك ونَسِم إذا أَنْتَن، ونمّس الأَقط، إذا أَنتن؛ والنّمَس ريح اللبَنِ والدّسَم كالنّسَم. والنّمَس: بقاء وَضَرِ الدّهن في الشّعَر وغيره حتى يَزْنَخ.

والنّاموس والنمّاس: النمّام. وعن ابن الأَعرابي: نَمَسَ بينهم وأَنْمَسَ أَرّشَ بينهم. ونَمَسْت الرجلَ ونامَسْتُه إذا سارَرْته، ونَمَسْتُ السِّرّ أَنْمِسُه نَمْساً: كَتَمْتُه.

والنامِسُ والنامُوس: دوَيْبّة أَغْبَرُ كهيئة الذّرّة تلكع الناس[1]. وفي القاموس المحيط: الأَنْمَس الأَكْدَر، ومنه يقال للقَطا: نُمْس لِلَوْنِها[2].

ويبدو أن المعنى القديم لنمس كان يتعلق بالاختلاط وعدم الوضوح في اللون أو الشكل (لاحظ الأَنْمَس "الأَكْدَرُ"، ومنه يقال للقَطا: نُمْس، كما قالوا، لِلَوْنِها، والنامُوس: "دوَيْبّة غبراء" كهيئة الذّرّة، ثم توسعوا في المعنى ليشمل كل شيء غير واضح من الأصوات، وكذلك "بداية الرائحة" الكريهة خاصة[3]. وهنا ما يشبه تراسل الحواس حيث نقل اللفظ من المرئي إلى المسموع والمشموم.

الذّمى مَقْصُوْر: الرّائِحَة المُنْتِنَة.

وذَمَتْه رِيح الجِيفَةِ تَذْمِيه ذَمْياً إذا أَخَذَتْ بنَفَسِه.

وذَمَى الرجلُ ذَماءً: طالَ مرضُه؛ والذّماء بقية النفس[4].

---

[1]- انظر: اللسان، (نمس).

[2]- القاموس المحيط، (نمس).

[3]- للعلاقة بين "الشكل واللون" و"الرائحة" قارن: نمق "نقش"، ونمَقَة "رائحة".

[4]- انظر: اللسان، (ذمى).

وفي الواقع مشتقات (ذمي) لا تساعد على تكوين تصور واضح عن أصل المعنى وخط تطوره الدلالي، ولكن بحسب المعطيات المعجمية التي بحوزتنا يمكننا القول بإنّ الذّمى "الرائحة المؤذية" قد جاءت من "الشيء الضعيف، أو القليل"، ومنه جاء "بقية النفَس في الحي"، ثم تطور المعنى إلى "الرائحة الضعيفة (الكريهة)" التي تنبعث من الجيف أو من الأشخاص.

٣ -٦ الصلابة، والالتصاق، والثبات

لقد لوحظ وجود علاقات دلالية بين بعض مفردات الرائحة، خاصة التي تتعلق بالكريهة منها، والمفردات المتعلقة بمعاني "الصلابة"، أو "الالتصاق، والثبات". وهذا يبدو أنه نابع إما من تصور الرائحة الحادثة نتيجة "وسخ" ملتصق بالجسم أو بالأشياء وملازم لها بقوة وباستمرار، أو من تصور الرائحة وتأثيرها على أنه شيء قوي. ومن تلك المفردات، ما يلي:

الصّمَر: النّتْن؛ يقال: يدي من اللحم صَمِرَة. وعن ابن الأَعرابي: الصّمْر: رائحة السّمَكِ الطري، والصّمْر: غَتْم البحر إِذا هاج. والصّمَارى الاست لنَتْنِها.

ورجل صَمِيرٌ: يابسُ اللحمِ على العَظْم تفوح منه رائحة العَرَق.

والتّصْمِير: الجَمْع والمنْع. يقال: صَمَرَ متاعَه وصَمّره وأَصْمَرَهُ[١].

وفي القاموس المحيط: الصّمْرَة: اللبَنُ لا حَلاوَةَ له، والصامُورَة: الحامِضُ جدّا، وصَمِر، وأصْمَر: حمض[٢].

نستشف في ضوء هذه المعاني أن دلالة "الرائحة الكريهة" قد جاءت من معنى "الالتصاق، واليُبس".

---

[١]- انظر: اللسان، (صمر).

[٢]- القاموس المحيط، (صمر).

الصّأكة: رائحة الخشبة إذ نَدِيَت فتغير ريحها، وصأكة الرجل: عَرقه تهيج ريح مُنْتِنة.

وصَئِك به الشيء لَزِقَ.

قال صاحب العين: ومنه قول الأعشى:

ومثلكِ مُعْجِبةٍ بالشبا ب صاك العبيرُ بأَثوابها

أَراد به صِئِكَ فخفف ولَيّن، فقال صاك. والصائِكُ الدم اللازق[1].

ونجد معاني (صوك) مشابهة لمعاني (صأك)؛ نجد في اللسان: صاكَ به الدمُ والزعفران وغيرهما: لزق؛ وعن أَبي عمرو: الصائك اللازق، وقد صاكَ يصِيك[2]. ويبدو لنا أن معنى "الرائحة الكريهة" قد أتى من تصور "الوسخ اللازق بالشيء".

الصُّنُق: الأَصنّة، وعن المحكم: الصّنَقُ: شِدّة ذَفَرِ الإِبْطِ والجسد؛ يقال: صَنِقَ صَنَقاً، فهو صَنِقٌ، وأَصْنَقَه العرَق.

ورجلٌ مِصناقٌ إِذا لزم مَاله وأَحْسنَ القيامَ عَلَيْهِ[3].

وأصْنَقَ عليه: أصَرّ[4].

وفي جانب الساميات، نجد في الجعزية: ṣanqaqa "تلوث، تلطخ"، و ṣənquq "ملوث"[5].

---

[1]- انظر هذه المشتقات في اللسان، (صأك).

[2]- انظر: اللسان، (صوك).

[3]- انظر: اللسان، (صنق)ن والمحكم ج٦، ص ٢٠٩.

[4]- القاموس المحيط، (صنق).

[5]- Leslau, p.561.

وهذه تشير إلى أن جذر (صنق) كان يدور حول معاني "الالتصاق"، نفهم ذلك من معناها في الجعزية حيث يدل على "الوسخ" الذي يمكن تأويله على أنه "شيء ملتصق (بالثوب أو بالجسم)"، وهذا المعنى تعكسه المشتقات[1] العربية التالية:

أصْنَقَ عليه: أصَرَّ، وأَصْنَقَ الرجلُ في ماله إصْناقاً إذا أَحسن القيام عليه (< "لازَمه")، ورجل مِصْناقٌ إذا "لَزِمَ مالَه وأَحسن القيام عليه"، والصِّنَق: الحلقة من الخشب تكون في طرف المرير[2]، التي يبدو أن معناها الإدراكي هو "شيء يُمسِك ويشُدّ"، أو معنى قريب من ذلك.

الصَّنَم خُبْث الرائِحَة، وقُوّة العَبْد، وهو صَنِم.

والصنَم: الوَثَن، وصَنَّمَ تَصْنيماً: صَوَّتَ[3].

يبدو هنا أن "خبث الرائحة" قد جاء من معنى "الثبات" و"الصلابة" المفهومة من الصنم الصلب الجامد.

البَنّة: الريح الطيِّبة، وقد تُطلق على المكروهة. والبَنّة: ريحُ مَرابِض الغنم والظباء والبقر، وربما سميت مرابض الغنم بَنّة. والبِنُّ: الموضعُ المُنتِنُ الرائحة.

وأَبْنَنْت بالمكان إبْناناً إذا أَقمْت به. وعن ابن سيده: بَنَّ بالمكان وأَبَنَّ: أَقام به[4]. وفي المقاييس: الباء والنون في المضاعف أصلٌ واحد، هو اللزوم والإقامة، وعن الخليل: الإبنان اللُّزوم، يقال: أبَنَّتِ السّحابة إذا لزِمَتْ، وأَبَنَّ القومُ بمحلّةٍ أقاموا[5]. (قارن صنن تحت: (ثبات، استمرار > رائحة)).

---

[1]- راجع القاموس المحيط (صنق)

[2]- انظر: القاموس المحيط، (صنق).

[3]- راجع: القاموس المحيط (صنم)

[4]- انظر: اللسان، (بنن).

[5]- راجع المقاييس، ص ١١٢.

ومما يعضد ما ذكره صاحب المقاييس أننا نجد الفعل yabnnn (جذر bnn بنن) في العربية الجنوبية (القتبانية) يفيد معنى "يُقيم"، "يؤسس" الذي ربطه Stephen David Ricks بالجذر (بنن) "أقام، وقف" في العربية الشمالية[1].

عَبِقَت الرائحة في الشيءِ: بَقيت؛ وريح عَبِق: لاصق، ورجل عَبِق إذا تطيّب وتعلق به الطّيب فلا يذهب عنه ريحه أيّاما؛ وعَبِق الرّدْع[2] بالجسم والثوب: لَزِق[3]، وفي القاموس: عبِق بالمَكانِ: أقَامَ[4].

ونميل إلى أن الدلالة المحورية لجذر (عبق) هي كما ذكر ابن فارس "لزوم الشيء للشيء"[5].

الصُّنَان: ريح الذّفَر، وقيل: قد تأتي للريح الطيبة أيضا؛ قال:

يا رِيّها، وقد بدا صُناني، كأَنني جاني عَبَيْثَرانِ

وأَصَنّ اللحمُ أَنْتَنَ، والمُصِنُّ الذي له صُنان. والصِّنّ: بول الوَبْرِ يُخَثّرُ للأَدْوية، وهو مُنْتِنٌ جداً.

والمُصِنّ: الساكت، والمُصِنّ الممتلئ غضباً، والمُصِنّ الشامخ بأَنفه[6].

وقد وجدنا مقابلات جذر (صنن) في عدد من اللغات السامية تدور حول معنى "الرائحة" كريهة كانت أو طيبة؛ من ذلك: الأكادية eṣēnu

---

1- Stephen David Ricks. Lexicon of Inscriptional Qatabanian. (Studia Pohl, 14), Pontificial Biblical Institute, Rome, 1989. P.30

٢- الردع: اللطخة من الزعفران.

٣- انظر: اللسان، (عبق).

٤- القاموس المحيط (عبق).

٥- المقاييس، ص ٧٣١.

٦- انظر: اللسان، (صنن).

"شمّ"، "بخور"، "رائحة"[1]؛ والسريانية ṣénānā ، "رائحة الإبط"[2]؛ ṣentā "خصلة صوف"، "رائحة كريهة"، والجعزية ṣenawa "عطِر، أعطى رائحة"[3]. وربما الأصل الدلالي القديم هو "الثبات، والبقاء طويلا"، ومن ثم "الرائحة الكريهة"؛ لأنها نتيجة فساد الشيء بسبب بقائه لمدة طويلة.

أَجِنَ الماء أَجَناً: تغيّر غير أَنه شَروب، وخص ثعلب به تغيُّرَ رائحته.

الآجِنُ: الماءُ المتغيّر الطعمِ واللون؛ وعن الليث: الأَجْن: أَن يَغْشى الماء العِرْمِض والورق (قارن تحت العبرية agam)؛ قال علقمة بن عَبَدة:

فأَوْرَدَها ماءً كأَنّ جِمامَه، من الأَجْنِ، حِنّاءً معاً وصَبِيبُ[4]

وفي اللغات السامية نجد الأكادية agammu "مستنقع"[5]، والعبرية agam "بركة مملوءة بالقصب"[6]، والسريانية agma "الماء المستقر"[7]، التي Koehler مقابلها العربي هو أجن[8]. إذن، ليس ببعيد أن معنيي "تغير الطعم"، و"تغير الرائحة" قد جاءا من "الاستقرار" و"السكون"، وهذا ما يؤدي عادة إلى "التعفن".

صَلّ اللحم: أَنتن، مطبوخاً كان أَو نيئاً. وفي الحديث: "كلْ ما رَدّت عليك قوسُك ما لم يَصِلّ"، أَي ما لم يُنْتِنْ[9].

وصَلّ الماء: أَجَنَ. وماءٌ صَلاّلٌ: آجِن، وأَصَلّه ما غيّره القِدَم[1].

1- Black, p.81.
2- Smith, p.481.
3- Leslau, p.562.
4- انظر: اللسان، (أجن).
5- Black, p.6.
6- Koehler-Baumgartner, p.9.
7- Smith, p. 3.
8- Koehler-Baumgartner, p.9.
9- انظر: اللسان، (صلل).

وفي الواقع يصعب تحديد الدلالة القديمة لجذر (صلل) لتعدد مشتقاتها المختلفة، وربما تعدد جذورها ذات الاشتراك اللفظي (الاشتراك الجناسي) وتعدد معاني كل جذر؛ إلا أنه ربما يمكننا القول بناء على ما توحي به المعاني المرتبطة بالتغير والتعفن أنها تعود إلى معنى "استقرار الماء"، ومن ثَمّ "التغير والرائحة الكريهة". لذا نجد من بعض علماء الساميات من يقارنها بالأكادية ṣalālu صلالو "ترسّب"، والعبرية القديمة ṣālal "رسب"[٢]، والجعزية ṣallala "طفا"[٣].

٣ -٧ الذوق واللمس

هناك عدد من الألفاظ الدالة على الرائحة التي تطورت من دلالات مفردات تدل في الأصل على معاني "اللمس"، أو ما هو متعلق به كـ "الذّوق". ويقع تحت اللمس ما دل على خشونة أو ملاسة، أو على حرارة أو برودة، وما دل على قرْص أو وخز وما هو من بابهن، ويقع تحت الذوق الحلاوة والمرارة والحموضة والملوحة والمزازة والحرافة وما أشبهها من الطعوم. أما العلاقة بين الطعم والرائحة فهي قوية لارتباطهما الفيسيلوجي والواقعي؛ لأن خبيث الرائحة عادة ما يكون فاسدا كريه الطعم.

٣-٧-١ الذوق

الطِّيبُ ما يُتَطَيَّبُ به، وقد تَطَيَّب بالشيءِ، وطَيَّبَ الثوبَ وطابَهُ[٤].

والطِّيِّبُ خلاف الخَبيث؛ قال ابن بري: قد تتسع معانيه، فيقال: أَرضٌ طَيِّبة للتي تَصْلُح للنبات؛ ورِيح طَيِّبَة إِذا كانت لَيِّنةً ليست بشديدة؛ وطُعْمة

١- انظر: اللسان، (صلل).

2 - Klein, p. 548.

3- Leslau, p.555.

٤- لسان، (طيب).

طَيِّبة إذا كانت حلالاً؛ وامرأَةٌ طَيِّبة إذا كانت حَصاناً عفيفةً، ونَكْهة طَيِّبة إذا لم يكن فيها نَتْن، وطعامٌ طَيِّب للذي يَسْتَلِذُّ الآكلُ طَعْمه[1].

وتدور معاني جذر (طيب) في اللغات السامية حول دلالة "الطيِّب، الحسن"؛ حيث نجد في العبرية ṭōb تفيد معاني: "الطيب"، الحسن"، "السار"[2]، وفي الأكدية ṭābu "حسن، حلو"[3]، والأوغرتية ṭb طب "حسن"، "حلو الطعم"[4]، والسريانية ṭāb "طيّب، حسن"[5].

هناك احتمال أن يكون المعنى القديم هو "الطعم الحلو، اللذيذ"، ثم توسّعت الدلالة لتشمل كل شيء "مقبول وسار". نفترض هذا لأنّنا نجد شواهد من ألفاظ "الطعم" قد نُقلت دلالاتها عن طريق تراسل الحواس فأصبحت تدل على محسوسات أخرى؛ فمثلا نجد حُلو "طعم لذيذ"، تدل أيضا على "الكلام الطيب"، و"الشكل الحسن"، ومليح (من ملح الطعام) تدل أيضا على الشيء أو الشخص الجميل[6]، وقارن أيضا (بشع) تحت.

البَشِع: الكَريه رِيح الفَمِ[7]. والبَشِع طَعْم كريه.

والبَشَع تَضايُق الحلْقِ بطعام خَشِن؛ والبَشِع: الخَشِن من الطّعام واللِّباس والكلام.

وبَشِع الوادي بالماء بَشَعاً: ضاق[8].

---

[1]- انظر: اللسان، (طيب).

[2]- Koehler-Baumgartner, p.348.

[3]- Black, p.412.

[4]- Lete, p.886.

[5]- Smith, p.166.

[6]- انظر القاموس المحيط (ملح).

[7]- القاموس المحيط، (بشع).

[8]- انظر: اللسان، (بشع).

ورجل بَشِع المَنْظَر إذا كان دَميماً؛ وعزا الزمخشري إلى المجاز قولهم: رجل بشع الخلق، وبشِع المنظر إذا كان لا يحلى بالعين[1].

ويبدو لنا أن الأقدم بين هذه الدلالات هو "خشونة الطعام"، وما يصاحبها من ضيق في الحلق، ثم تطور المعنى ليدل على كل ما يسبب ضيقا للنفْس من رائحة، أو منظر؛ وقد يكون هنا تراسل للحواس بين الذوق والرائحة.

سَمْج: لبن سمج: لا طعم له، والسَّمْج: الخبيث الريح.

سَمُجَ الشيء سَماجَةً: قَبُح، وإذا لم يكن فيه مَلاحَة، وسَمَّجَهُ الله: خلقه سَمْجاً، أو جعله كذلك[2].

ويبدو أن اللفظ سمْج، في دلالته على "خبيث الرائحة" مستعار من حقل "الذوق".

الخَمْطة: رِيحٌ نَوْرِ الكَرم وما أَشْبَهه مما له ريح طيبة، والخَمْطة الخمر التي أَخَذَت رِيحاً؛ وأَرض خَمْطةٌ وخَمِطةٌ: طيبةُ الرائحة.

والخَمْط من اللبن: الحامض.

وخَمَط اللحمَ يَخْمِطُه خَمْطاً، فهو خَمِيطٌ: شواه، وقيل: شواه فلم يُنْضِجْه. والخَمِيط: المَشْوِيّ.

وبحر خَمِط الأَمواج: مُضْطَرِبُها.[3].

ونجد أن بعض هذه الدلالات تعسكها أيضا لغات سامية بصورة غير مباشرة. نجد في العبرية ḥmīṭa " كعك يُعدّ على المقلاة"

---

[1]- أساس البلاغة، (بشع).
[2]- انظر: اللسان، (سمج).
[3]- انظر: اللسان، (خمط).

"pancake"[1] وفي الأكدية ḫamāṭu خماطو "حرَق"، ḫimṭu "احتراق"، "اشتواء"[2]. وفي الآشورية تفيد ḫamāṭu معنى "استعجل"، "أسرع"[3]. وفي العربية الجنوبية ḫamṭn "وباء"، "فتنة، اضطراب"[4].

هناك - في الواقع - اختلاط وعدم وضوح في معاني هذا الجذر، ولكن يبدو أن المعنى الأقدم كان يدور حول "طعم"، أو رائحة شيء شُوي على عجل، ولم يُحكم عمله، ويبدو أنه كان هناك نوع من تراسل الحواس بين الطعم والرائحة.

٣-٧-٢ اللمس

الشّذا: شِدّةُ ذكاءِ الريح ، وعن ابن جني الشّذا: المِسْك.

وشذَى: آذى[٥].

ويبدو أن أصل معنى شذا كان يدور حول "طرف الشيء وحدّه"، وهذا ما ذكره ابن فارس في مقاييسه حيث قال: "الشين والذال والحرف المعتل أصلٌ واحد، وهو يدلُّ على الحَدّ والحدّة"[٦]. ويمكننا أن نحدد أكثر فنقول: "القطعة الصغيرة المحددة الأطراف". يتضح لنا ذلك من معاني المشتقات التالية[٧]: الشّذا كسَر العود الصغار، والشّذاةُ: القطْعة من الملحِ، والشّذاة ذُباب، وقيل "ذبابٌ أَزْرقُ عظيمٌ يقع على الدواب فيُؤْذِيها" [تشبيه بقطعة محددة تخز الجلد]؛ والشّذا، مقصورٌ: "الأَذى والشرّ". وهذا المعنى قد جاء من "القطعة الحادّة" التي قد "تخِز وتؤذي".

1- Klein, p.221.

2- Cohen, fasc. 9, p.921; Black, pp.104, 116.

3- The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the University of Chicago,Chicago: Oriental Institute, 1956–2011, p.62.

4- Biella, p.204.

٥- انظر: اللسان، (شذا).

٦- المقاييس، ص ٥٥٤.

٧- راجع معاني هذه المشتقات في اللسان، (شذا).

هذه المؤشرات تومئ إلى إنّ دلالة الشذا "شدة ذكاء الريح" قد جاءت من "ملمس الطرف الحادّ للشيء"، ومما يقوي هذا أننا نجد من هذا الباب في الرائحة مفردات أخرى أخذت عن طريق تراسل الحواس من اللمس إلى الشم (راجع: حدة الرائحة [من حدد].

حادّ: رائحة حادّةٌ: ذَكِيّةً؛ وناقة حديدةُ الجِرّة: لِجِرّتها ريح حادّة.

وَحَدٌّ كل شيء: طَرَف شَبَاتِه، كَحَدِّ السكين، والسيف، والسِّنان، والسهم.

وحَدَّ بَصَرَه إِليه يَحُدُّه وأَحَدَّه. وقوله تعالى: (فبصرك اليوم حديد[1])، أَي فرأْيك اليوم نافذ[2].

هنا نرى انتقال اللفظ من معنى يُدرَك بحاسة اللمس، إلى معنى آخر يُدرَك بحواسة أخرى، هي البصر، والشم. (قارن شذا، فوق).

الحَرْوَة: الرائحة الكريهة مع حدّة، والحروة أيضا: حَرافَة في طَعْمِ الخَرْدَل، وكذلك حُرْقَة في الحَلْق والصدْرِ والرّأسِ من الغَيْظِ والوَجَعِ[3].

وجاء في اللسان: لهذا الكُحْل حَرَاوة ومَضاضَة في العين. ويقال: إِني لأَجد لهذا الطعام حَرْوة وحَرَاوة أَي حَرارة، وذلك من حَرافةِ شيء يؤْكل.

والحَرَا والحَرَاة: الصوت والجَلَبة، وصوت التِهاب النار وحَفيفُ الشجر[4].

وقال ابن فارس: الحاء والراء وما بعدها معتل: أصول ثلاثة، فالأوّل جنس من الحرارة، والثاني القرب والقصد، والثالث الرُّجوع. فالأوّل الحَرْو، من قولك وجَدْت في فمي حَرْوَة وحَرَاوة، وهي حرارة مِن شيءٍ

[1]- سورة ق، ٢٢.
[2]- انظر: اللسان، (حدد).
[3]- القاموس المحيط (حرو)
[4]- انظر: اللسان، (حري).

يُؤْكل كالخردَل ونحوه. ومن هذا القياس حَرَاةُ النار، وهو التهابها. ومنه الحَرَة الصّوت والجَلَبةُ[1].

ونجد في "الآرامية ḥarā حرا "حارّ"، " احمرّ"، "لمع"، وفي العبرية ḥārā "أصبح حارّا بسبب الغضب"[2]. وفي ضوء هذه الدلالات يمكننا أن نقول: إنّ دلالة حروة "الرائحة الكريهة مع حدة" قد جاءت من "ملمس الشيء الحارّ".

٣ -٨ النار، والحرارة، والضوء

تأتي علاقة النار بالرائحة من جهة أنّ إحراق الأشياء ينتج عنه روائح طيبة أو كريهة، وعادة ما تأتي الرائحة الطيبة نتيجة لإحراق البخور، وأما الرائحة الكريهة فتأتي من الدخان عامة؛ لأنه مؤذ للشعور وكاتم للنفَس. وهناك علاقة أخرى للنار بالرائحة؛ فالنار مصدر حرارة وإحراق، وعادة ما يعبر عن قوة الرائحة بمفردات تعبر عن اللمس لأنه أكثر وضوحا من الحواس الأخرى، وقد تعرضنا لذلك قبل هذا. أما علاقة الضوء بالرائحة فهي تأتي من جهة التعبير عن سطوع الرائحة وانتشارها بمفردات مأخوذة من حقل الضوء؛ لأن الضوء أقوى وضوحا في السطوع والانتشار من الناحية الحسية لأنه مرئي، والرائحة غير مرئية.

ذكا الريحِ: شِدّتها من طِيبٍ أَو نَتْنٍ. ومِسْكٌ ذكِيٌّ وذاكٍ: ساطِعُ الرائِحَةِ.

وذَكَتِ النارُ تَذْكو ذُكُوّاً: اشْتَدّ لهَبُها واشْتَعلت، والذُّكْوة والذّكا: الجمرة المُلْتهبة. وفي حديث ذكر النار: "قَشَبَني ريحُها وأَحْرَقَني ذَكاؤها"[3]، والذّكاءُ: شدةُ وهَجِ النار[1].

---

[1]- المقاييس، ص ٢٥٧.

[2]- Cohen, fasc. 9, p.921.

[3]- ذكر الحديث ابن الأثير في النهاية، ج٤، ص٦٤، وهو من حديث طويل عن أبي هريرة، مذكور في صحيح البخاري. حديث ٨٠٦، ج، ص٢٦١.

ويبدو أن دلالة جذر (ذكو) تدور حول معانٍ متقاربة هي "اللمعان"، و"الصفاء". لاحظ الأكادية zaku ، والآشورية zakā'u "أصبح صافيا، نقيا"، و"أصبح لامعا"[٢]، والعبرية zākā "صار صافيا، نقيا، طاهرا"، والآرامية dkā "أضاءت (النار)"[٣]، والجعزية zakik "نقيّ"[٤]، ومن معاني "الصفاء" والإضاءة تطور في العربية معنى "اللهب" و"الاشتعال"، ومن "الاشتعال" جاء معنى "الحرارة" (لمس)، وعن طريق تراسل الحواس برز معنى "شدة الرائحة".

سَطَعَت الرائحة: فاحَت وعلَتْ. ويقال: سَطَعَتْني رائحة المِسْك إذا طارت إلى الأَنف.

والسَّطْعُ: كل شيء انتشر أَو ارتفع من بَرْقٍ أَو غُبار أَو نُور أَو رِيح، والسَّطِيع: الصُّبْح لإِضاءته وانتشاره.

والسَّطْعُ والسَّطَعُ: الضرب براحة اليد مع صوتْ.

وفي ضوء ما تقدم يبدو لنا أن معنى (سطع) بدأ بـ"الصوت العالي"(=مسموع)، ثم بعد ذلك استُعمل مع "النور، والغبار، والدخان" المرتفع، (مسموع > مرئي)، ثم امتد استعماله إلى "ظهور الرائحة" (مشموم)، إما عن طريق الانتقال من "صوت" إلى "مرئي" و"مشموم"، أو عن طريق انتقال من صوت إلى "مرئي" ثم إلى "مشموم" (صوت > مرئي = ضوء" > "مشموم = رائحة).

تَوَهّجَتْ رائحة الطيب: توقدت.

١- انظر: اللسان، (ذكو).

2- Black, p.443.

3- Gesenius, p.269.

4- Cohen, fasc. 4,p.332.

٥- انظر هذه معاني هذه المشتقات في اللسان، (سطع).

وتستعمل وهج مع توقد النار، فيقال وَهَجَتِ النار تَهِج وَهْجاً ووَهَجاناً إذا اتّقَدت؛ وكذلك مع شدة الحرارة، فيقال: يوم وَهِجٌ ووَهْجانٌ: شديد الحر، والوَهَج والوَهْج والوَهَجان والتّوَهُّج: حرارة الشمس والنار من بعيد[1].

وكذلك تستعمل توهج للتعبير عن قوة الضوء والتلألؤ. يقال: نجم وَهّاجٌ، أي وَقّادٌ. وفي التنزيل: (وجعلنا سِراجاً وهّاجاً)[2]؛ وتَوَهّجَ الجوهر: تلألأَ.

ويبدو أن معنى توهج "اشتدت الرائحة" قد جاء إما من "شدة الحرارة" (انتقال من ملموس إلى مشموم)، أو من "التلألؤ" (انتقال من مرئي إلى مشموم).

سنا: قال النابغة الجعديّ

كأنّ تَبَسُّمَها مَوْهِناً سَنَا المِسْك حين تُحِسُّ النُّعامَى

ذكروا في تفسير (سنا المسك) أنه يجوز أنه أراد بالسّنَا النبات، أي كأنه خالط المِسْكَ، ويجوز أن يكون من السّنا الذي هو "الضّوْء"؛ لأنّ الفَوْحَ انتشار أيضا، وهذا كما قالوا: سَطَعَت رائحتُه أي فاحَتْ.

وسَنَت النارُ تَسْنُو سَناءً: عَلا ضَوْءُها. والسّنا: ضوءُ النارِ والبرْق.[3]

وقد يكون من المقابلات السامية لهذا الجذر الإثيوبية śannaya "جمُل، حسُن"[4]، ولعل هذا المعنى مأخوذ من "الضوء".

---

[1]- انظر: اللسان، (وهج).

[2]- سورة النبأ: ١٣-١٤.

[3]- انظر: اللسان، (سنا).

[4]- Leslau, p.531.

وقد يكون إطلاق سنا على "رائحة المسك" معتمداً على تشبيهه بـ "الضوء" في الانتشار، وقد يكون لدينا هنا حالةٌ من حالات تراسل الحواس: من "المرئي" إلى "المشموم".

ثَقَبتِ الرائحة: سَطَعَتْ وهاجَتْ؛ وأَنشد أَبو حنيفة:

بِريحِ خُزامَى طَلَّةٍ مِنِ ثِيابِها، ومِنْ أَرَجٍ من جَيِّد المِسْكِ، ثاقِب

وعن الليث: حَسَبٌ ثاقِب إِذا وُصِفَ بشُهْرَتِه وارْتِفاعِه.

وثَقَبَت النّارُ ثُقُوباً: اتّقَدَتْ وزَنْدٌ ثاقِب: هو الذي إِذا قُدِحَ ظَهَرت نارُه؛ وشِهابٌ ثاقِبٌ: مُضِيءٌ[1].

ومن المقابلات السامية نجد الإثيوبية saqba (س=ث) "أوقد النار"[2].

لعلّ (جذر) ثقب يدور في الأصل حول معاني "إشعال النار"، و"الإضاءة واللمعان"، ويمكننا في ضوء هذا أن نقول: إن معنى "انتشار الرائحة، أو قوتها" قد جاء من "حرارة الاشتعال" (انتقال من ملموس إلى مشموم)، أو من "لمعان الضوء" (انتقال من مرئي إلى مشموم).

الأَرَج: نَفْحَة الريحِ الطيبة. وعن ابن سيده: الأَرِيجُ والأَرِيجة: الريحُ الطيبة، وأَرِجَ الطِّيبُ: فاحَ؛ ويقال: أَرِجَ البيتُ يَأْرَجُ، فهو أَرِجٌ بريح طيبة. والأَرَجُ والأَرِيجُ: تَوَهُّجُ ريح الطيب.

أَرَّجَ النارَ وأَرَّثَها: أَوْقَدَها.

والتَّأْرِيجُ: شِبْهُ التَّأْرِيشِ في الحرب. وأَرِجَ النّاس: ضَجُّوا بالبكاء[3].

---

[1]- انظر: اللسان، (ثقب).

[2] Leslau, p.509.

[3]- انظر: اللسان، (أرج).

هذه المعاني تشير إلى أن دلالة جذر (أرج) كانت تدور حول "إشتعال النار وإيقادها"؛ ومن ذلك جاءت معاني "التحريش"، أي إيقاد العدواة بين الناس"، وكذلك جاء معنى "انتشار الرائحة".

الصِّماح: العرق المنتن، وقيل: خبث الرائحة من العرق، والمعنيان متقاربان.

صَمَحَتْه الشمس إذا آلَمَتْ دماغَه بشدّة حَرِّها، وصَمَحَه الصَّيْف: أذابَ دِماغَه بِحَرِّهِ، والصِّماحُ: الكَيّ[1].

ونجد من المقابلات السامية: الجعزية ṣənḥāḥ (م > ن) "تدخين"، "بخور"[2].

وهذا يشير أن إلى أصل دلالة جذر (صمح) كانت تدور حول "الحرارة"، و"الإحراق"، ومن ثَمّ تطور إلى "الرائحة القوية المنتنة".

تأكل: جاء في المقاييس: يقال في الطِّيب إذا توهّجَتْ رائحتُه تأَكّل[3].

وفي اللسان: يقال تأكّلت النار: اشتد التهابها، والجمرة تتأكّل: تتوهّج؛ والسيف يتأكّل إثْرُه. قال أوس:

إذا سُلّ مِنْ جفْنٍ تأكّلَ إثْرُهُ على مِثْلِ مِصْحاةِ اللّجَين تأكّلاَ

فُسّر التأَكّل أنه شدة بريق الكحل إذا كسر، أَو الصّبِر، أَو الفضة. وتأكّل البرق: لمع، وتأكل السيف: إذا مَا تَوَهّج مِنَ الحدّة[4].

---

[1]- انظر: اللسان، (صمح).

[2]- Leslau, p.560.

[3]- المقاييس، ص ٨٤.

[4]- انظر: اللسان، (أكل).

هذا ربما مثال آخر لتوسيع الدلالة من "الحرارة" إلى الرائحة، أو من "اللمعان" إلى "الرائحة".

٣ -٩ كلمات أخرى

الرّيّا: الرِّيحُ الطيبة؛ ورَيّا كل شيء طِيبُ رائحته[١].

يبدو أنها مشتقة من رَوِيَ. يقال رَوِيَ من الماءِ واللّبَنِ رَيًّا وريًّا، والاسم الرِّيُّ[٢]؛ والرّيّان: ضدّ العَطْشان، ورجل رَيّان وامرأَة رَيّا، ونَبْت رَيّان.

والرِّيُّ: المَنْظرُ الحَسَنُ، ورجل له رُواء، أَي منظرٌ. قال ابن الأَثير: ذكره أَبو موسى في الراء والواو، وقال: هو من الرِّيِّ والارْتِواء؛ قال: وقد يكون من المَرأَى والمنظر فيكون في الراء والهمزة.[٣]

ويبدو لنا بعد اعتبار المعاني السابقة أن ريّا "الريح الطيبة" مأخوذة من روي "ضد عطش"، وبما أنّ الرّي يضفي على الشيء - نباتا كأن أو حيوانا- انتعاشا ونضارة، نشأ معنى "المنظر الحسن"، ثم حدث نوع من تراسل الحواس بين "المرئي" و"المشموم" فأصبحت ريّا تفيد معنى "الرائحة الطيبة".

قَدا اللحم والطعام إِذا شَمِمْت له رائحة طيبة. يقال: شممت قَداة القِدْر، وهي قَدِيةٌ أَي طيبة الريح؛ ويقال: هذا طعام له قَداةٌ وقَداوة[٤].

وعلاقة هذا الجذر بـ"الطعم" أو "الرائحة" تعكسها بعض مشتقاته في الساميات الأخرى، حيث نجد في الإثيوبية: الجعزية qadawa "صار ذا رائحة طيبة"، "صفا"، "صار أنيقا"، والتيغرية qäda "أعطي رائحة

١- انظر اللسان، (روي).
٢- القاموس المحيط (روي).
٣- انظر اللسان (روي).
٤- انظر: اللسان، (قدا).

طيبة"، "عبِق"[1]، وربما من دائرة هذه الفكرة جاءت العبرية qiddā "توابل"، "قرفة"[2].

فَغَمت الرّائحة السُّدّة: فتَحتْها. وفغمَتْه رائحة الطيب: سدّت خَياشِيمه، وفَغَمةُ الطيب: رائحتُه.

الفَغَم، بفتح الغين، عن كراع: الأنف، والفُغْم، بضم الفاء، الفَم أَجمع، ويحرك فيقال فُغُم.

وكلْبٌ فَغِم: حريصٌ على الصيد.

وفَغَم الوَرْدُ: انفتح، وكذلك تَفَغَّم: تفتح.

وفَغَمه أي قَبّله[3].

يبدو أن المعنى الأول كان يدور حول "الفتْح والتفتّح". من ذلك جاء معنى "الفم، أو بمعنى أعم "مقدم الوجه" [الذي يُفتح]؛ من هذا جاءت معاني "الحرص"، و"التقبيل". ومن "فتح الفم" و"الالتهام" جاء معنى "ملء المكان بالنفس وبخار الفم" ومنه تطور معنى "الرائحة".

الفَغْو و الفَغْوَة و الفاغِيةُ: الرائحة الطيّبة.

والفَغْوة: الزهرة. والفَغْو والفاغِيةُ: وَرْدُ كل ما كان من الشجر له ريح طيبة؛ وأَفغى النبات: خرجت فاغيته، وقيل: الفَغْو والفاغية نَور الحِناء خاصة[4].

يبدو لنا أن أصل معنى (فغو) كان يدور حول معنى "الانفتاح"؛ فالزهرة فغوة لأنها "تتفتح"، ومن هذا جاء معنى الرائحة المنبعثة من الزهر المتفتح.

1- Leslau, p.423.
2- Gesenius, p.869.

٣- انظر: اللسان، (فغم).
٤- انظر: اللسان، (فغو).

الزُّهُومَة: ريح لحم سمين منتن، ولحم زَهِم: ذو زُهُومة. وعن الجوهري: الزُّهُومةُ، بالضم، الريح المنتنة. والزَّهَمُ: النتن[1].

وجذر (زهم) موجود في بعض اللغات السامية: نجد في العبرية: zāham"أجن الماء"، "أصبح كريه الرائحة"[2]، والأرامية zham "قذُر"[3]، وجذر zhm في السريانية يدور حول معاني "رائحة الشحم"، و"العفونة"[4].

وفي الواقع يصعب تحديد الدلالة القديمة لجذر (زهم)، ولكن في ضوء ما لدينا من مشتقات لهذا الجذر في العربية وفي بعض أخواتها الساميّة، يمكننا القول: إن دلالته كانت تدور حول "رائحة الشحم"، و"الشعور بالغثيان"، أو "كراهة الشيء".

٤ - الخاتمة

لقد كان هدف هذا البحث تسليط الضوء على طبيعة مفردات الرائحة في العربية في ضوء آراء الفلاسفة وعلماء اللغة الذين اهتموا بهذا الحقل طوال التاريخ اللغوي والثقافي الإنساني، وكذلك من منظور التحليل الدلالي لمفردات هذا المجال في المعاجم العربية.

لقد أشار الفلاسفة وعلماء اللغة، كما أسلفنا، إلى أنّ حاسة الرائحة عند الإنسان ليست بمستوى الحواس الأخرى من حيث الدقة والتقاط التفاصيل، ومن يقارن عدد مفردات الرائحة بعدد مفردات الألوان والأصوات سيجد الفرق كبيرا جدا، فقد رصدنا كما ذكرنا من قبل ٧٤ كلمة في حقل الروائح، بينما ذكر عبد الحميد إبراهيم في قاموس الألوان عند العرب

[1]- انظر: اللسان، (زهم)؛ والصحاح (فغو).

[2]- Gesenius, p.263; Koehler-Baumgartner, p.252.

[3]- Klein, 194.

[4]- Smith, p.111.

٤٨٩ لفظا للألوان[١]، وأوردت كوكب دياب في المعجم المفصل في الأصوات ٨٦٧ كلمة[٢]. وقد أشار الدارسون كما ذكرنا إلى انعكاس هذا النقص الأصيل على معجم الرائحة في اللغات الإنسانية، فاتسم ذلك المعجم بقلة مفرداته؛ لذلك كان اعتماده على الاقتراض من حقول الإحساس الأخرى.

في ضوء هذه المعطيات، تناولنا مفردات الرائحة في العربية بالتحليل اللغوي والدلالي، ووجدنا أن مفردات الرائحة برغم أن عددها قد بلغ تقريبا ٧٤ كلمة، إلا أنها ليست أصيلة في هذا الحقل، وإنما هي مجتلبة من حقول معجمية أخرى، كما يبين الجدول التالي:

الجدول رقم (٢): الحقول التي أمدت حقل الرائحة بالمفردات

	الحقل المصدر	عدد الكلمات المستعارة
١	الرياح، والنفخ، والبخار	١٥
٢	الدخان، الغبار، الوسخ والعرق	١٠
٣	الحركة، والاندفاع، والقوة	٧
٤	الفساد، والعفن، والضعف	١٠
٥	الخفاء	٣
٦	الصلابة، والالتصاق، والثبات	٩
٧	اللمس والذوق	٧
٨	النار والحرارة والضوء	٨
٩	حقول مختلفة	٥
	المجموع	٧٤

[١]- عبد الحميد إبراهيم، ، قاموس الألوان عند العرب، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩.

[٢]- كوكب دياب، المعجم المفصل في الأصوات، طرابلس: جروس پرس، ١٩٩٦.

وذكرنا من قبل أن تراسل الحواس من الظواهر البارزة في حقل المحسوسات بشكل عام، وفي حقل الرائحة بشكل خاص، وقد أشرنا في التحليل إلى أن هذه الظاهرة قد تكون وراء التغير الدلالي الذي أنتج بعض مفردات الرائحة، وفيما يلي جدول يبيّن ذلك. (سنذكر فيه أولا الكلمة التي في حقل الرائحة، ثم نتلوها بحقل الإحساس المستعارة منه:

الجدول رقم (٣): أثر تراسل الحواس في نشوء ألفاظ الرائحة

رقم	لفظ في حقل الرائحة	مصدره	رقم	لفظ في حقل الرائحة	مصدره
١	تمه	طعم	١٢	حروة	لمس
٢	تفل	طعم	١٣	طيب	طعم
٣	نمّ	نظر	١٤	ذكي	لمس
٤	نمس	نظر	١٥	سطع	صوت
٥	صمر	لمس	١٦	وهج	نظر (أو لمس)
٦	صنم	لمس	١٧	سنا	نظر
٧	بشِع	لمس إلى طعم	١٨	ثقب	لمس (أو نظر)
٨	سمج	طعم	١٩	أرج	لمس
٩	خمط	طعم	٢٠	صمح	لمس
١٠	شذا	لمس	٢١	تأكّل	لمس
١١	حدة	لمس	٢٢	ريّا	نظر

يبين الجدول السابق:

١- أن أكبر مُزوّدٍ لمفردات الرائحة هو حقل اللمس، حيث نجد من مفرداته ٩ في حقل الرائحة، إضافة إلى احتمال أخذ ٣ مفردات أخرى من الحقل نفسه، ليصبح المجموع ١١ كلمة، أي ما يعادل ٥٠% من كلمات الرائحة في هذه القائمة.

٢- أن حقل الطعم زوّد حقل الرائحة بـ ٥ كلمات، إضافة إلى احتمال اقتراض كلمة أخرى، ليصبح المجموع ٦ كلمات.

٣- أن حقل النظر أمدّ حقل الرائحة بـــ ٤ كلمات، وهناك احتمال اقتراض كلمتين أخريين، ليصبح المجموع ٦ كلمات.

٤- أن حقل الصوت هو أقل الحقول تزويدا لحقل الرائحة، حيث وُجد كلمة واحدة فقط من هذا الحقل.

هذه النتائج تتوافق بشكل كبير مع تلك التي توصل إليها أولمان Ullman (انظر فوق)، حيث وجد أن الاستعارات من مجالات الحواس الدنيا (اللمس والطعم) إلى مجالات الحواس الأخرى أكثر مما هي في الاتجاه المعاكس، حيث ذكر أنّ ٨٠% من ألفي حالة تراسل حسّي قد سلكت هذا الاتجاه، وذكر أيضا أنّ ألفاظ الرائحة لا تنتقل إلى مجالات إحساس أخرى.

كذلك نجد نتائج هذه الدراسة قريبة إلى حد ما من النتائج التي توصل إليها سين دَي Sean Day[1]، الذي وجَد أنّ حقل الرائحة قد استعار ٢٤٢ كلمة من حقول الحواس الأخرى، منها ٣٧ من اللمس والحرارة، و ٦٠ من الطعم، ولم يقدم هذا الحقل للحقول الأخرى إلا كلمات منفردة، حيث زود حقلي السمع والرؤيا بكلمة واحدة فقط لكل منهما.

[1]- Day, 1995, p.89.

ومن الفوائد التي ترتبت على دراسة أصول ألفاظ الرائحة محاولة استشفاف جوانب من تفكير الإنسان القديم وملامح من تصوراته المتعلقة بالرائحة؛ فطبيعة الرائحة غير الملموسة أو المرئية أدت إلى تصورها في أشكال أشياء أخرى أكثر وضوحا وتفصيلا كاللون، (بما في ذلك الدخان والغبار)، والأصوات، والملموسات (من حيث الحرارة والحدة)، والطعوم، وكذلك ربطها بالهواء الذي يحملها إلى أنوفنا.

مصادر البحث:

المصادر العربية:

- إبراهيم، عبد الحميد، قاموس الألوان عند العرب، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩م.

ابن الأثير، مجد الدين، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطحاوي، المكتبة الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٩م.

- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المخصص، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، بيروت، (ب.ت).

- ـــــــــــ، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.

- ابن فارس، أحمد، معجم المقاييس في اللغة، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م.

- ابن منظور، محمد بن مُكرّم، لسان العرب، تصحيح: أمين عبد الوهاب وأمين العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧م.

- أرسطوطاليس، كتاب النفس، ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني وجورج شحاتة قنواتي، البابي الحلبي، القاهرة. ١٩٤٩.

- أفلاطون، المحاورات الكاملة، ترجمة شوقي داود تمراز، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٤٩م.

- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، الجامع الصحيح، تحقيق: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٤٠٠هـ.

- التهانوي، محمد علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحرج وآخرون، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٦م.

- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م.

- دوزي، رينهارت، تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، دار الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٦٠-١٩٨٠م.

- رضا، أحمد، متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٠م.

- دياب، كوكب، المعجم المفصل في الأصوات، طرابلس: جروس پرس، ١٩٩٦م.

- الزبيدي، مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، التراث العربي الكويت، ١٩٦٥-٢٠٠١م.

- الزمخشري، جار الله، أساس البلاغة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٢م.

- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧م.

المصادر الأجنبية

- Anttila, Raimo, Historical and Comparative Linguistics. Amsterdam ; Philadelphie : J. Benjamins, 1989.

- Baldick Chris, The Concise Oxford Dictionary of Literary Terms, "synaesthesia", Oxford: Oxford University Press, 2001.

- Barretex-Antuñano Iraid, Polysemy and Metaphor in Perception Verbs: A Cross-linguistic Study, PhD thesis, University of Edinburgh, 1999.

- Beesston, A., W. Müller, M. Ghul, J. Ryckmans, Sabaic Dictionary (English–French–Arabic). Louvain-la- Neuve: Peeters/Beirut: Librairie du Liban, 1982.

- Biella, Joan Copeland, Dictionary of Old South Arabian: Sabaean Dialect, Scholars, Chico: CA, 1982.

- Black, Jeremy G., Andrew George, Nicholas Postgate, A Concise Dictionary of Akkadian, Harrassowitz-Verlag, Wiesbaden, 2000.

- Beeston et al. Sabaic Dictionary: English-French-Arabic. Uiversity of Sanaa: Éditions Peeters, Louvain-la-Neuve; Beyrouth: Librairie du Liban, 1982.

- Brown, Francis and others, , Hebrew and English Lexicon, Massachusetts: Hindrickson Puplishers, 1997.

- Buck, Carl Darling, A Dictionary of Selected Synonyms in the Principal Indo-European Languages, Chicago: University of Chicago Press. 1949.

- Cohen, D., F. Bron et A. Lonnet, Dictionnaire des racines sémitiques ou attestées dans les langues sémitiques , Leuven: Peeters, 1994-2012.

- Costaz, Louis, Syriac-English-French-Arabic Dictionary, Beyrouth,: dar El-machreq, 2002.

- Day, Sean, , "Synaesthetic Metaphors in English", Ph.D. thesis, Purdue University, 1995.

- Gesenius, William, Hebrew and English Lexicon of the Old Testament, trans. Edward Robinson, Oxford: Oxford University press, 1930.

- Halayka, Issam K .H., A Comparative Lexicon of Ugaritic and Canaanite. Münster, Ugarit-Verlag, 2008.

- Holz, Peter, Speaking of Colors and Odors, ed. Martina Plümacher, Amsterdam ; Philadelphia: John Benjamins Pub. Co., 2007.

- Jastrow, Marcus, a dictionary of the targumim the talmud bavli and yerushalmi and the midrashic literature, London: Luzac & Co, 1903.

- Klein, Ernest, A Comprehensive Etymological Dictionary of the Hebrew Language for Readers of English, Jerusalem: CARTA, 1987.

- Koehler-Baumgartner, eds., Lexicon in Veteris Testamenti Libros, Leiden: Brill, 1985.

- Koster Egon Peter, "The Specific Characteristics of the Sense of Smell", 3-15, in "Olfaction, Taste, and Cognition, ed. Catherine Rouby and others, Cambridge: Cambridge university Press, 2002.

- Le Guérer, Annick, "Olfaction and Cognition: A Philosophical and Psychoanalytic View", in Olfaction, Taste, and Cognition, ed.Catherine Rouby and others, Cambridge: Cambridge university Press, 2002.

- Leslau, Wolf, Comparative Dictionary of Ge'ez, Wiesbaden: Harrassowitz, 1991.

- Lete, del Olmo Gregorio & Joaquín Sanmartín, , A Dictionary of the Ugaritic Language in the Alphabetic Tradition. Leiden: Brill, 2003.

- Orel, Vladimir E., and Olga V. Stolbova, Hamito-Semitic Etymological Dictionary: Materials for a Reconstruction. Leiden: Brill, 1995.

- Ricks, Stephen David, Lexicon of Inscriptional Qatabanian. (Studia Pohl, 14), Rome: Pontificial Biblical Institute, 1989.

- Shen, Yeshayahu, "Metaphor and Poetic Figures", in The Cambridge Handbook of Metaphor and Thought, ed. Raymond W. Gibbs, Cambridge: Cambridge University Press, 2008.

- Smith, J. Payne, A Compendious Syriac Dictionary, Oxford: The Clarendon Press, 1903.

- Soden, Wolfram Von , Akkadisches Handwörterbuch, Otto Harrassowitz, Wiesbaden.

- The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the University of Chicago, Chicago: Oriental Institute, 1956–2011

- Sokoloff, Michael, A Dictionary of Jewish Palestinian Aramaic, Ramat-Gan: Bar Ilan University Press, 1992

- Ullmann Stephen, Language and Style, Oxford: Basil Blackwell, 1964.

- Zucco, Gesualdo M., "Odor memory: The unique nature of a memory system", in Speaking of Colors and Odors, ed. Martina Plümacher, Peter Holz, Amsterdam ; Philadelphia: John Benjamins Pub. Co., 2007.

مواقع على الشبكة العنكبوتية

Pfaffmann, Carl , "human sensory reception", Encyclopedia Britannica online:

http://global.britannica.com/EBchecked/topic/534831/human-sensory-reception

Starostin, Sergei Anatolyevich, The Twoer of Babel: An International Etymological Database Project, in http://starling.rinet.ru/ (no. 1169).

Wison, W. Bible Student Guide:

http://www.tyndalearchive.com//TABS/Wilson/index.htm (smell).